مجلـــــة السعيد للعلـــــوم الإنســـانيـــة والتطبيقية
Al-Saeed Journal of Humanities and Applied Sciences
ISSN: 2616 - 6305
https://alsaeeduni.net/colleges/research-and-strategic/2017-03-10-08-03-59

منهجية الشوكاني في نبذ التعصب والتقليد في (فتح القدير)

د/ فكري عبد الله عبد الجليل الحكيمي
الأستاذ المشارك بقسم علوم القرآن- كلية التربية
رئيس قسم معلم الصف للتعليم الأساسي سابقا
fekryut@hotmail.com

تاريخ تسليم البحث 20/12/2021 تاريخ قبوله للنشر 9/1/2022

منهجية الشوكاني في نبذ التعصب والتقليد في (فتح القدير)

د/ فكري عبد الله عبد الجليل الحكيمي
الأستاذ المشارك بقسم علوم القرآن- كلية التربية
رئيس قسم معلم الصف للتعليم الأساسي سابقا

ملخص البحث

الإمام الشوكاني من الأئمة المجتهدين الذين لهم الدور الكبير في إحياء تراث الأمة الإسلامية العلمي والفكري، فلقد قدم الإمام الشوكاني إسهاما كبيرا في نقل الأمة الإسلامية من حياة العصبية العمياء التي أثقلت كاهلها ومزقت شملها إلى التحرر والاجتهاد والدوران مع الدليل حيثما دار وعمل في هذا المجال مالم يعمله الكثير ممن سبقه من علماء الأمة الذين وقفوا عاجزين أمام ذلك التقليد والتعصب الأعمى، وجاءت هذه الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي لتدلل للجميع جهود الإمام الشوكاني وجهاده في سبيل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر ثقافة التوسط والاعتدال وثقافة الحوار الراقي وقبول الآخر بالمنهج الصحيح المنشود لمجتمعاتنا وأمتنا الإسلامية. ويقع البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: نبذ، التعصب، التقليد، المنهج، الإمام الشوكاني.

Al-Shawkani's Methodology in Renunciation of Fanaticism (Fatah Al-Qadeer)

Dr. Fikri Abdullah Abdul-Jalil Al-Hakimi
Associate Professor, Department of Quranic Sciences - College of Education
Former Head of the Class Teacher's Department for Basic Education

Abstract

Imam al-Shawkani is one of the diligent imams who has a great role in reviving the Islamic nation's scientific and intellectual heritage. Many of the scholars who preceded him stood helplessly in the face of fanaticism and blind imitation of wrong behaviors. This study came in both theoretical and practical aspects to demonstrate the efforts of Imam Al-Shawkani and his fight to spread Islam using the correct methods of wisdom, calmness, and soft speech. Imam Al-Shawkani spread the culture of moderation and the culture of sophisticated dialogue and acceptance of the other with the correct approach desired for our societies and our Islamic nation.

The research consists of an introduction, a preface, three chapters, a conclusion and an index of topics

Keywords: renunciation, fanaticism, imitation, method, Imam Shawkani

مقدمة:

الحمد الله ربنا الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً للأنس والجان وعلى اله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان. وبعد

فكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ففيه ما يسعد البشرية ويخرجها من ربقة الظلمات الحالكة التي تتخبط فيها والمشكلات والقضايا الاجتماعية التي طغت على شعوب الامم المتأخرة والحضارات الحديثة.

فمن خلال تدريس الباحث لهذا التفسير القيم ضمن مقررات التفسير في الجامعات اليمنية لاحظ على مؤلفه الإمام علي بن محمد الشوكاني (رحمة الله عليه) أنه قد وجه تفسيره نحو أهم قضايا المجتمع التي كانت وقت إذ منتشرة بين أوساط الشباب وطلاب العلم فاهتم بقضية نبذ التعصب والتقليد وذلك من خلال توجيه تفسيره في كثير من الآيات، ورجع الباحث إلى قراءة سيرة المؤلف بتفحص دقيق لحياته العلمية والعملية فوجد الباحث أن الإمام الشوكاني رحمه الله قد عانى من هذه القضية (التعصب والتقليد) في زمانه وعمل جاهداً من خلال مؤلفاته بالتحذير منها ودعى إلى تركها والتمسك بالكتاب والسنة، وفي فتح القدير سلك الإمام الشوكاني عدة أساليب للتحذير من التعصب والتقليد.

ولاحظ الباحث عودة هذه الظاهرة إلى المجتمع اليمني بقوة وكانت إحدى اسباب معاناته ونشوب الحرب بين ابنائه حيث استغل الكبراء والسادة هذه الظاهرة من قبل الاتباع معتمدين على التعبئة الخاطئة وبث الافكار والسلوكيات التعصبية من خلال ليّ النصوص الشرعية عن معانيها اللغوية والشرعية لما يخدم اطماعهم ومصالحهم وكذلك استعبادهم للمستضعفين والمحتاجين من بسطاء الناس في وقت شدتهم وحاجاتهم.

لذا أراد الباحث إثاره هذه القضية بدراسة مستقلة للتحذير منها ولاسيما بين فئة الشباب مسترشدا بتفسير فتح القدير للإمام الشوكاني والسير على منهجه الاجتهادي ونبذ التعصب والتقليد.

وكان من أسباب اختيار الباحث التفسير بأنه قد عالج هذه الظاهرة في المجتمع اليمني الذي سبر غور عاداته وتقاليده من خلال معايشه المفسر لأبناء مجتمعة وتنوع توجهاتهم كما نعيشه في حاضرنا.

وقد تناول بعض المؤلفين اهتمام المفسر الشوكاني وتوجيه تفسيره لهذه الظاهرة من خلال مؤلفاتهم ولكن لم يؤلف لهذه الظاهرة مؤلف مفرد بحسب علم الباحث إلى الآن فقام الباحث بذلك لإعطائها مزيد أهمية وحسن التفات لها من خلال هذه الدراسة المفردة.

أهمية الدراسة:

- دعوة الى الاهتمام بتجدد حركة التفسير لان القرآن صالح لكل زمان ومكان.
- الدراسات التفسيرية في التأليف للتفسير لها حاجة ملحه في هذا العصر.
- إبراز جهود الإمام الشوكاني وجهاده في سبيل الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
- التحذير من ظاهرة التعصب والتقليد التي عادت لتنتشر بين فئة الشباب.
- بث ثقافة التعايش وأدب الحوار وقبول الأخر وأن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.
- أهمية أدب الطلب والتمكن العلمي والرسوخ فيه كفيل بتجفيف منابع هذه الظاهرة واندثارها في المجتمع

وعن الدراسات السابقة لم يقف الباحث (فيما بحث ونظر) على أي دراسة مستقلة للإمام الشوكاني تناولت هذه الظاهرة على الخصوص وقرنها بالجانب التطبيقي الاستقرائي من خلال تفسيره.

ونظرا لشهرة الإمام الشوكاني وصيته في الافاق وجهوده المقدرة في مجال الدعوة والتربية والإصلاح والتنوير ومحاولة الرجوع بالأمه إلى معينها وأهم اصولها (الكتاب والسنة) والسير على نهج سلف الأمة وخيارهم والتعايش والسلم الاجتماعي وفي نظر الباحث فأفضل من ألف عن حياة وجهود وفكر الإمام الشوكاني هو الدكتور حسين بن عبد الله العمري في كتابه (الإمام الشوكاني رائد عصره) دراسة في فقه وفكره، الذي صدر في صنعاء ٢٥ رجب ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

فما ترك المؤلف شارده ولا وارده عن الإمام الشوكاني الا وذكرها، ومما يخص هذه الدراسة فقد ذكر المؤلف القسم الاول لكتابه من (سيرة الشوكاني) مسالة الإنصاف والتعصب والتمذهب وكذلك التعصب في ثورة العامة في صنعاء (١٢١٦هـ-١٨٠٢م).

وكان الجديد في دراسة الباحث أن ظاهرة التعصب والتقليد جاءت بمنهجين الجانب النظري والجانب التطبيقي الاستقرائي من كتاب فتح القدير.

واتبع الباحث في هذه الدراسة أكثر من منهج حتى تؤتي أكلها وثمارها اليانعة، فكان المنهج النظري الوصفي ثم المنهج الاستقرائي التطبيقي.

وجاءت هذه الدراسة باسم: منهجية الشوكاني في نبذ التعصب والتقليد في (فتح القدير) واحتوت على مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة فالمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات:

المقدمة فالتمهيد: تعاريف ومفاهيم (المنهج (المنهجية)- التعصب - التقليد - نبذ).

والمبحث الأول: الامام الشوكاني ومنهجه في فتح القدير.

المطلب الاول: حياة الشوكاني وعصره وفكره وآثاره.

المطلب الثاني: منهجه في فتح القدير.

المطلب الثالث: علاقة مؤلفاته في ظاهرة التعصب والتقليد.

والمبحث الثاني: ظاهرة التعصب والتقليد وأثرها على الفرد والمجتمع.

المطلب الاول: أهمية نبذ التعصب والتقليد على الشخصية الإسلامية.

المطلب الثاني: طرق عملية لمعالجة ظاهرة التعصب والتقليد.

والمبحث الثالث: منهج الامام الشوكاني في نبذ التعصب والتقليد في فتح القدير (الجانب التطبيقي).

المطلب الاول: رد الحجة بالحجة.

المطلب الثاني: التحذير من ظاهرة التعصب والتقليد صراحة بقوة الخطاب.

المطلب الثالث: التحذير من ظاهرة التعصب والتقليد صراحة مع اعطاء البديل.

المطلب الرابع: التحذير من ظاهرة التعصب والتقليد بالتعريض والتلميح.

المطلب الخامس: التحذير من مظاهر أخرى تؤدي الى التعصب والتقليد.

وختاما فاني أسأل الله العلي القدير ان يوفقنا الى ما يحبه ويرضاه فهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

أولاً: التمهيد:

تعريف التعصب لغة واصطلاحًا:

"التعصب لغة: من العصبية. والعصبية في اللغة مشتقة من العصب وهو: الطي والشد. وعصب الشيء يعصبه عصبا: طواه ولواه، وقيل شده. والتعصب المحاماة والمدافعة"(١).

والعصبية: "أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبيته، والتألّب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا..."(٢).

تعريف التقليد لغة واصطلاحا:

التقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطا به، ومنه تقليد الهدي ولذلك سمي الشيء المحيط بالعنق قلادة، والجمع قلائد، قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٢].

ومن ذلك أيضا قولهم: وقلدتها قلادة جعلتها في عنقها، ومن تقليد لولاة الأعمال، ومنه تقليد البدنة حتى يعلم أنها من الهدي(٣).

أما تعريف التقليد اصطلاحا فقد انتقيت لكم من تعريفات أهل العلم ثلاثة تعريفات:

التعريف الأول: قال الآمدي في تعريف التقليد بأنه العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة(٤).

التعرف الثاني: قال ابن السبكي: التقليد: أخذ القول من غير معرفة دليله(٥).

التعريف الثالث: وهو أجمعها وأشملها، قال ابن الهمام: العمل بقول من ليس قوله أحدى الحجج بلا حجة منها(٦).

والتقليد قبول الامر ممن لا يؤمن عليه الغلط بلا حجة فهو وإن وقع معتقده على ما هو به فليس بعلم لأنه لا ثقة معه، واشتقاقه من قول العرب قلدته الامانة أي ألزمته إياها فلزمته لزوم القلادة للعنق(٧).

قال القرطبي: التقليد عند العلماء حقيقته قبول قول بلا حجة وعلى هذا فمن قبل قول النبي من غير نظر في معجزته يكون مقلداً، وأما من نظر فيها فلا يكون مقلداً. وقيل هو اعتقاد صحة فتيا من لا يعلم صحة قوله.

والتقليد ليس طريقاً للعلم ولا موصلاً له لا في الاصول ولا في الفروع، وهو قول جمهور العقلاء والعلماء(٨).

تعريف نبذ: نبذ الشي ينبذه نبذاً القاه ورماه قال تعالى:﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠١] رموه وأهملوه وأعرضوا عنه وقال تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الانفال: ٥٨] أي ألق إليهم عهدهم وأعلمهم بنقضه بغير

(١) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، (٤٩/٢).
(٢) ابن منظور، لسان العرب، (١٦٧).
(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (٢٤٢/٢).
(٤) الآمدي، الإحكام، (٢٢١/٤).
(٥) السبكي، جمع الجوامع، (٤٣٢/٢).
(٦) ابن الهمام، التخيير في أصول الفقه، (٥٤٧).
(٧) العسكري، معجم الفروق اللغوية، (٢٥٤).
(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ص٢٠٠/١.

خداع ليكون الطرفان في العلم بالنقض سواء (وانتبذ) اعتزل ورمى نفسه بعيداً عن الناس، قال تعالى: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦] وهكذا جاء لفظ (نبذ) في القران بمعنى الترك والاهمال والاعراض عن الشي[١].

المنهجية (المنهج):

والمنهج من المصطلحات الحديثة التي يذكرها أصحاب الدراسات النظرية ولا سيما القرآنية منها والتفسيرية.

والمنهج عند أهل التحقيق للدراسات التفسيرية عامةً هو: الاتجاه أو الهدف أو الطريقة أو الأسلوب الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون.

ومنهم من فرق بين مصطلح المنهج والاتجاه والطريق، ولكن هذا التفريق لم يكن دقيقاً في نظر الباحث، إذ المصطلحات الثلاث تشترك بالمعنى الكلي والمدلول العام[٢].

ومنهج الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير يأتي بمعنى الطرق والوسائل والأساليب التي سلكها من خلال تفسيره ليُحذر من ظاهرة التعصب والتقليد من خلال التعليق عليها في مواضع مناسبة عند تناوله لبعض الآيات.

المبحث الأول: الامام الشوكاني ومنهجه في فتح القدير

فعلم من أعلام الاسلام في يمن الإيمان وهو الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني وقد كان بمنهجه وسيرته وجهوده في خدمة الاسلام ومؤلفاته القيمة وأفكاره التي عادت لصاحبها إلى ما كان عليه السلف الصالح وتحرره من ربقة التقليد ودعوته الصادقة إلى العودة لينابيع الإسلام الأصيلة (الكتاب والسنه وإجماع الأمه) لما كان زمانه مليئاً بالجهل والعصبية والمذهبية.

وأما منهجية الامام الشوكاني في تفسيره موضوع بحثنا المسمى فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في التفسير، فالمعلوم أن أصحاب فن علوم القرآن قسموا التفسير من حيث المنهج إلى التفسير المأثور والتفسير بالرأي وتأتي أهمية فتح القدير أنه جمع بين المدرستين التفسير بالمأثور (الرواية) والتفسير بالرأي (الدراية) فأجاد في باب الدراية وتوسع في باب الرواية وهذا ما ذكره في مقدمته عن تفسيره هذا.

وقد كان منهجه بأن قدم منهج أهل اللغة وجعلها هي الحاكمة ثم تأتي بعد ذلك أقوال أهل التفسير من السلف من الصحابة والتابعين واتباعهم رضى الله عنهم. وبهذا المنهج فقد خالف جماهير أهل التفسير وأئمتهم المتقدمين ومن سار على نهجهم من المتأخرين.

فإن الاصل في التفسير أن يؤخذ عن الأعلم به وأعلم الناس به هم من شهدوا التنزيل وأحاطوا بالتأويل ونزلت الآيات بين أظهرهم وسمعوا شرحه وتفسيره وبيانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تأتي المسائل الاخرى الموضحة للآيات من اللغة والفقه والقراءات وبقية علوم الآله التي يفهم بها كتاب الله عز وجل.

(١) عبدالفتاح ابراهيم احمد، القاموس القويم مادة نبذ، ص٧٥.
(٢) انظر: فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص٥٥.

وبمتابعه الباحث لهذا التفسير فقد لاحظ انتهاج المفسر منهجاً مخالفاً لمن سبقه ممن ألفوا بهذا الفن ووجد الباحث بأن المفسر الشوكاني كان منشغلا بقضية التقليد شغلاً كبيراً وأخذت من زمنه جدلا كثيراً بمناقشة أقرانه من علماء زمانه وكتب مصنفات مفرده لأهم قضية في مجتمعه وعانى من هذا الجانب كثيراً.

فلعله من إثر ذلك خالف منهجيه من سبقه فقدم الدراية على الرواية فراراً من التقليد وإن كانت هذه المنهجية محل نظر عند بعض المحققين لهذا الفن.

فالغالب في منهجية المفسرين أن تفاسيرهم إما أن تقتصر على الرواية مثل تفسير الدرُّ المنثور للسيوطي، وإما أن تدمج الروايات مع قضايا اللغة والأحكام الفقهية والعقدية كما جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

وللعلم فإن المرجعين السابقين اعتمد عليهما الإمام الشوكاني في تفسيره هذا كما ذكر بمقدمته. وبهذا المنهجية المختلفة تميز الإمام الشوكاني عن المفسرين.

المطلب الاول: حياة الشوكاني وعصره وفكره وآثاره

حياته:

أولاً: اسمه ونسبه، وموطنه:

هو الشيخ العلامة الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف بن محمد بن مرزوق الشوكاني[1] ثم الصنعاني.

أما الشوكاني: فهو نسبة إلى هجرة شوكان، وهي قرية من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم[2].

وأما الصنعاني فنسبة إلى مدينة صنعاء التي استوطنها والده ونشأ فيها بعد ولادته في الهجرة[3].

ثانياً: مولده ونشأته العلمية:

ولد حسبما وجد بخط والده في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر القعدة سنة (١١٧٣هـ) ثلاث وسبعين ومائة وألف بمحل سلفه وهو هجرة شوكان وكان إذ ذاك قد انتقل والده إلى صنعاء واستوطنها ولكنه خرج إلى وطنه القديم في أيام الخريف فولد له صاحب الترجمة هنالك ونشأ بصنعاء فقرأ القرآن على جماعة من العلماء وأخذ كثيرا من العلوم عن المشايخ هناك... وكانت قراءته لما تقدم ذكره في صنعاء اليمن ولم يرحل لأعذار: أحدها عدم الإذن من الأبوين، وقد درس في جميع ما تقدم ذكره وأخذه عنه الطلبة

---

(١) مصادر ترجمته: البدر الطالع للشوكاني، (٢/٢١٤- ٢٢٥)، التاج المكلل (٣٠٥-٣١٧)، أبجد العلوم (٢٠١-٢١١) كلاهما لصديق حسن خان، نفحات العنبر للحوثي (٤٣٥-٤٥١)، هدية العارفين للبغدادي (٢/٣٦٥)، الرسالة المستطرفة للكتاني (١١٤)، نيل الوطر لزبارة (٢/٢٩٧-٣٠٢)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (٣/١٤٤-١٤٥)، هجر العلم ومعاقله للأكوع (٤/٢٢٥١)، فهرس الفهارس للكتاني(٢/٤٠٨-٤١٢)، الأعلام للزركلي (٦/٢٩٨)، معجم المؤلفين لكحالة (١١/٥٣)، المجددون في الإسلام للصعيدي (٤٧٢-٤٧٥)، مقدمة كتاب الروضة الندية للأخ محمد صبحي حلاق، الإمام الشوكاني حياته وفكره للدكتور عبد الغني الشرجبي، الشوكاني مفسرا للدكتور محمد حسن الغماري، مقدمة كتاب قطر الولي للدكتور إبراهيم هلال.

(٢) المصدر السابق، (١/ ٤٨٠).

(٣) المصدر السابق، (٢/٢١٥)، الزركلي ، الأعلام، (٦/٢٩٨).

وتكرر أخذهم عنه في كل يوم من تلك الكتب التي درسها على يد مشايخه، وكثيرا ما كان يقرأ على مشايخه فإذ فرغ من كتابٍ قراءةً أخذه عنه تلامذته بل ربما اجتمعوا على الأخذ عنه قبل أن يفرغ من قراءة الكتاب على شيخه وكانت تبلغ دروسه في اليوم والليلة إلى نحو ثلاثة عشر درسا منها ما يأخذه عن مشايخه ومنها ما يأخذه عنه تلامذته... وكان في أيام قراءته على الشيوخ وإقرائه لتلامذته يفتى أهل مدينة صنعاء بل ومن وفد إليها بل ترد عليه الفتاوى من الديار التهامية وشيوخه إذ ذاك أحياء، وكانت الفتيا تدور عليه من أعوام الناس وخواصهم واستمر يفتى من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك وكان لا يأخذ على الفتيا شيئا تنزها فإذا عوتب في ذلك قال أنا أخذت العلم بلا ثمن فأريد إنفاقه كذلك، وترك التقليد واجتهد رأيه اجتهادًا مطلقًا غير مقيد وهو قبل الثلاثين وكان محجمًا عن أهل الدنيا لم يقف بباب أمير ولا قاض ولا صحب أحدا من أهل الدنيا ولا خضع لمطلب من مطالبها بل كان مشتغلا في جميع أوقاته بالعلم درسا وتدريسا وإفتاء وتصنيفا عائشا في كنف والده رحمه الله راغبا في مجالسة أهل العلم والأدب وملاقاتهم والاستفادة منهم وإفادتهم وربما قال الشعر إذا دعت لذلك حاجة كجواب ما يكتبه إليه بعض الشعراء من سؤال أو مطارحة أدبية أو نحو ذلك وقد جمع ما كتبه من الأشعار لنفسه وما كتب به إليه في نحو مجلد، وابتلى بالقضاء في مدينة صنعاء بعد موت من كان متوليا للقضاء الأكبر بها، وكان دخوله في القضاء وهو ما بين الثلاثين والأربعين...)[1].

ثالثاً: مشايخه وتلاميذه:

- **من مشايخه:**

١- العلامة أحمد بن عامر الحدائي (١١٢٧-١١٩٧هـ).
٢- السيد العلامة إسماعيل بن الحسن المهدي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد (١١٢٠-١٢٠٦هـ).
٣- السيد الإمام عبد القادر بن أحمد الكوكباني (١١٣٥-١٢٠٧هـ).
٤- القاضي عبد الرحمن بن حسن الأكوع (١١٣٥-١٢٠٧هـ).
٥- والده علي بن محمد الشوكاني (١٢١١هـ)[2].

- **من تلاميذه:**

١- أحمد بن عبد الله العمري الضمدي (١١٧٠-١٢١٢هـ).
٢- ابنه القاضي أحمد بن محمد الشوكاني (١٢٢٩-١٢٨١هـ).
٣- ابنه علي بن محمد علي الشوكاني (١٢١٧-١٢٥٠هـ).
٤- أحمد بن ناصر الكبسي (١٢٠٩-١٢٧١هـ).
٥- القاضي محمد بن حسن الشجني الذماري- صاحب كتاب التقصار في جيد زمان علامة الأقاليم والأمصار- (١٢٠٠-١٢٨٦هـ)[3].

(١) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (٢٠٧/٢) فما بعدها، بتصرف يسير.
(٢) الشوكاني، الدراري المضية شرح الدرر البهية، (٢٨/١).
(٣) ذكر الدكتور إبراهيم بن إبراهيم هلال في مقدمة "قطر الولي" ص٤٢-٤٥ تلاميذ الشوكاني وعددهم ثلاثة عشر تلميذا، وذكر الدكتور محمد حسن الغماري صاحب كتاب "الشوكاني مفسرا" ص٧٤-٨١، ثلاثة

رابعاً: وفاته:

توفي الإمام الشوكاني رحمه الله ليلة الأربعاء، لثلاث بقين من شهر جمادى الآخرة، سنة (١٢٥٠هـ-١٨٣٤م)، عن ستّ وسبعين سنة وسبعة أشهر، وصُلِّي عليه في الجامع الكبير بصنعاء، ودُفن بمقبرة خزيمة المشهورة بصنعاء.

عصر الشوكاني وأثره عليه

أولا: الحالة السياسية

كانت الدول الإسلامية الكبرى تعاني من ضعف شديد، بلغت الصراعات المذهبية فيها درجة أشعلت الحرب بين الدولتين: العثمانية السنية، والدولة الصفوية الشيعية، وكان المغرب العربي يعاني من صرعات عرقية وقبلية سهلت اجتياح الحملات الإسبانية والبرتغالية لأرجاء تلك البلاد.

ولعبت الأسرية، والقبلية والقوة الدور الحاسم في تولي الحكم والسلطة، ومن ثم تحديد طبيعة النظام الحاكم، وهو أمر مخالف لمبدأ الشورى الإسلامي.

وقد أدى وجود الدول الإسلامية المستقلة إلى ضعف دولة الخلافة العثمانية؛ مما أضعف شوكتها أمام أعدائها- أعداء الإسلام-.

وفي ظروف التفكك والضعف هذه برزت إلى الوجود قوات الغزو الصليبي العسكري-الاقتصادي بشقيه: الروسي والأوربي، مستهدفة اقتسام بلاد المسلمين، بعد الإجهاز على دولة الخلافة الإسلامية- العثمانية التي أطلق عليها يومئذٍ: الرجل المريض، وكانت الظروف مهيأة أمام الغزو الصليبي؛ فثغور المسلمين غير محصنة، وخاصة في سواحل البحر الأحمر، وبشكل خاص بوابتيه الشمالية والجنوبية، والخليج العربي والبحر الأحمر بالإضافة إلى تراخي المسلمين عن الجهاد.

ولم تخل اليمن من أمراض القوى الإسلامية الكبرى، فقد وجدت صراعات داخلية في ظل نظام الحكم الزيدي الإمامي هي: صراعات أسرية على الإمامة، وصراعات فيما بين القبائل ذات الشوكة من ناحية، وفيما بينها ودولة الإمامة من ناحية أخرى وصراعات بين دولة الأئمة وبين قوة الحركة الإسماعيلية الباطنية- القرمطية، المتمركزة في منطقتي حراز ونجران.

وكان حكم الإمامة يتسم تارة بالعدل وتارة بالجور، وأحيانا بالقوة، وأحيانا بالضعف، ولأخلاقيات وزراء الإمام ودعاة الإمامة وطبيعة سلوك الإمام تأثير كبير بالإيجاب أو السلب على طبيعة النظام الحاكم.

وكانت سيادة اليمن غير كاملة على كل أجزائها، فهناك الصراع ضد سلطة أسياد بني عريش والمخلاف السليماني، وهناك سلطنات مستقلة كسلطنة لحج في الجنوب، وهناك الأتراك في زبيد، وقد احتل الإنجليز عدن عام (١٢٥٥هـ) بعد موت الشوكاني بخمس سنوات.

وقد أبدى النظام الإمامي استعدادا طيبا لمشاركة المسلمين في صد الغزو الصليبي-الاقتصادي- العسكري، كاستعداده لمجابهة الحملة الفرنسية، وحملات البرتغاليين، ورفض إقامة

وثلاثين تلميذا، وذكر الدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجبي صاحب كتاب "الشوكاني حياته وفكره" ص٢٣٨-٢٦٦، تلاميذ الشوكاني وعددهم اثنان وتسعون تلميذا.

قاعدة إنجليزية في باب المندب، وتولى الشوكاني بمكاتباته إعلان المواقف السياسية المتصلة بهذا الاستعداد، وكان لهذه الأوضاع آثارها الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والفكرية(١).

ثانيا: الحالة الدينية

عاصر الشوكاني المذاهب والفرق والطوائف الدينية المختلفة، والتي كان له معها مواقفه الخاصة، فكان ناقدا لجوانب الخطأ في مقولاتها، ومزكيا لجوانب الحق والصواب من آرائها ومناهجها.

وفي ظل الحكم الإمامي الزيدي عاصر الشوكاني عصبية مذهبية وسلالية وجمودا على أقوال العلماء والأئمة، دونما بحث عن الدليل من قِبل أرباب التعصب والمقلدين، فكان للشوكاني أدواره الإيجابية في تشخيص ظاهرة التعصب، ومحاربتها بقلمه، وتدريسه، وفتاواه، وكان له رأيه السياسي في حل الفتنة العصبية التي أطلق عليها فتنة العاصمة صنعاء عام (١٨٢٣م) فاستجاب إمام زمانه لمقترحاته التي طالبت بنفي رؤساء تلك الفتنة إلى سجون متعددة، بعيدة عن العاصمة.

ويعد الاجتهاد – وهو شرط من شروط الإمامة في المذهب الزيدي– ميزة استطاع الشوكاني في ظله أن يصل إلى درجة الاجتهاد المطلق، وبذلك تمكن من الانخلاع عن المذهبية، فانتقد المتعصبين في كل مذاهب المسلمين، وقام بالدعوة إلى التمسك بالإسلام جملة، وإلى عدم التعصب لأقوال العلماء أو الأئمة بل الالتزام بالكتاب والسنة، اللذَينِ أمر الله باتباعهما(٢).

وكان اليمنيون قبل دخول المذهب الزيدي متمذهبين بالمذهبين المالكي والشافعي، وقد انقرض المذهب المالكي، وبقي المذهب الشافعي سائدا في المناطق الوسطى والجنوبية والساحلية من اليمن، وكان الشوكاني من الأعلام الذين دعوا إلى اتباع السنة ومذهب السلف الصالح، بدون تعصب لمذهب ما من مذاهب المسلمين، وإنما هو الاقتفاء للحق والدليل فهما رائداه في كل ما يقرأ ويرجح من آراء.

وشهد الشوكاني صراع الأئمة الزيديين ضد الطائفة الإسماعيلية الباطنية– القرمطية، وأفتى بكفرها.

وأما المعتزلة فقد كان عام (٥٤٤هـ) أول عام دخل فيه تراثهم إلى اليمن على يد القاضي جعفر بن عبد السلام المتوفى سنة (٥٧٣هـ) شيخ الزيدية والمعتزلة، وقضية الاتفاق والاختلاف بين الزيدية والمعتزلة مسألة جدلية ويمكن تمثيلها بمتصل في طرفه الأول طائفة تمثل قمة الاتفاق وفي الطرف المقابل طائفة أخرى تمثل قمة الاختلاف، وفي الوسط مواقف تتأرجح نحو هذا الطرف أو ذاك، وموقف الشوكاني من علم الكلام موقف له سمته الخاصة، فهو ينصح طالبه في كتابه أدب الطلب(٣) بدراسة هذا العلم لكي يستطيع دراسة تفسير الكشاف للزمخشري، ودراسة تراث المعتزلة والأشاعرة والفرق الأخرى، ويتمكن بذلك من الخروج من دائرة التقوقع على علوم المذهب ومخاصمة أهل الكلام دونما علم بمقولاتهم

(١) انظر: الشرجبي، "الإمام الشوكاني، حياته وفكره"، (٣٩-١٣٧،٧٦-١٤٠)، وانظر : الغماري، "الإمام الشوكاني مفسرا"، (٣١- ٣٩).

(٢) انظر: الشوكاني، "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد".

(٣) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأرب، (١٢٨-١٣٠).

ومصطلحاتهم ومنطلقاتهم، ولكنه يصف تجربته الشخصية مع هذا العلم بالمرارة، وأنها تجربة جلبت له الحيرة، وأنه قد وجد أن مقولاته في نهاية الأمر مجموعة من الخزعبلات، وبناء على ذلك دعا طلابه إلى نهج السلف الصالح الذي يقوم على هجر المصطلحات الكلامية، والتمسك بالكتاب والسنة.

وأما الصوفية فقد اشتهر أصحابها بالتواكل وهجر الأسباب واشتهر أتباعها بتقديس زعمائها، والخضوع لأقوالهم، والاهتمام الشديد بتشييد وتزيين قبورهم والتعلق ببعض الخرافات التي علقت بمحبتهم فكان للشوكاني معهم جولة طويلة، خاصة في كتبه الثلاثة:

١- شرح الصدور في تحريم رفع القبور.

٢- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.

٣- قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها.

بالإضافة إلى رسالته: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد.

وأما الرافضة فقد كشف الشوكاني النقاب عنهم، وفضح حقيقتهم فيما يتظاهرون به من التشيع قائلا: (ولا غرو فأصل هذا المظهر الرافضي مظهر إلحاد وزندقة، جعله من أراد كيدا للإسلام سترا له فأظهر التشيع والمحبة لآل رسول الله صلى الله عله وسلم استجذابا لقلوب الناس؛ لأن هذا أمر يرغب فيه كل مسلم، وقصدا التعزير عليهم، ثم أظهر الناس أنه لا يتم القيام بحق القرابة إلا بترك حق الصحابة، ثم جاوز ذلك إلى إخراجهم - صانهم الله - عن سبيل المؤمنين)[١].

وهكذا بدت لنا الحالة الدينية في عصر الشوكاني رحمه الله مما دفعت به إلى حمل لواء الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ثالثاً: الحالة الاجتماعية:

لقد أصيبت الحالة الاجتماعية بالتدهور فكانت هناك أنماط متعددة من الصراع بين القوى الإسلامية المختلفة: بين الأتراك واليمنيين، وبين الأتراك والمصريين، وبين الأتراك والوهابيين...إلخ، كل هذا أدى إلى توهين قوة المجتمع الإسلامي وتضاؤل مكانته في العلم.

وعلى المستوى المحلي كان هناك صراع مرير بين المتعصبين وبين المنصفين من العلماء، وبين أدعياء العلم والعامة من جهة، وبين علماء الإنصاف والاجتهاد من جهة أخرى.

وتعرض المجتمع الصنعاني لحملات القبائل التي نشرت في أحيان كثيرة المجاعة حتى الموت، من جراء مطالبها في رفع مقرراتها المالية السنوية، وإن غلفت ذلك بالدفاع عن المذهب السائد للدولة.

وكان الجمود سمة بارزة في مجتمع الشوكاني، وأما العلماء فقد قعدوا عن أداء أدوارهم الإيجابية في محو الأمية الدينية، والثقافية، فكانوا يدارون العامة في معتقداتهم الخاطئة، وسلوكياتهم المناقضة لتعاليم الإسلام مما أدى بالعامة وجهلة المتفقهة إلى إلحاق الضرر بالمنصفين، ومعهم الإمام الشوكاني بسبب محاربتهم للعصبية والجمود.

وقد تهافت الظلمة الجهلة على مناصب القضاء، فأكلوا أموال الناس بالباطل وهم يعلمون.

(١) الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأرب، (٩٥).

وأما الظلم الاجتماعي فقد كان سمة غالبة على المجتمع اليمني تبدّت مظاهره في سلوكيات القضاة، والعمّال المحافظين والحكام بمساعدة علماء السوء ووزراء الجور...

ومما يؤخذ على الشوكاني تأثره بالعرف الصنعاني الفاسد الذي كان ينظر من خلاله إلى أصحاب بعض الحرف نظرة متدنية، ولعل هذا ما يبرر موقفه بعد أن ذاق مرارة حرب المتعصبين من جهلة العلماء الذين كان ينتمي بعضهم إلى تلك الحرف...[١].

وكانت الحرف الاقتصادية الراقية: صناعة السيوف، فن العمارة، صياغة الذهب والفضة، بيد الجالية اليهودية.

ولاحظ الشوكاني سوء الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية، في اليمن فحاول أن يشخص أسباب تلك الأحوال في كتابه "الدواء العاجل في دفع العدو الصائل"، وقد عزا تدهورها إلى الابتعاد عن حقيقة الإسلام، وهجر ما يدعو إليه من عدالة اجتماعية، وحاول رسم سياسة اقتصادية عادلة للنظام الإمامي يُحقق من خلالها العدل، ويرفع بها الظلم الاجتماعي، وما أن بدأ تطبيقها بعد اعتمادها من قِبل الدولة (الإمام) حتى تكالب عليه وزراء الظلم، وعلماء السوء، وقضاة الرشوة والحيف، وأقنعوا الإمام بالعدول عنها؛ حتى لا تؤدي إلى تقويض الملك.

وأما الأحوال الإدارية فقد كانت هي الأخرى تعكس ضعف السلطة المركزية... ودعا الشوكاني في كتابه المذكور سابقا إلى الإدارة المركزية بحيث تصل سلطة الدولة إلى كل قرية، ومن خلال هذه الإدارة تقوم الحكومة بتقديم خدماتها التربوية، والاقتصادية، والتعليمية...[٢].

فكره الديني

أولاً: فكره العقدي:

كان الشوكاني رحمه الله تعالى سلفي العقيدة يقتفي أثر السلف الصالح ممن ساروا على طريق الهدى والرشاد، وقد بين ذلك في جوابه على سؤال سائل من بلد الله الحرام عند سؤاله عن آيات الصفات وأخبارها[٣].

ثانياً: مذهبه الفقهي:

كان الشوكاني من أشد الناس محاربة للتقليد – إن لم يكن أشدهم– والتعصب للمذاهب، وكان يدعو إلى الاجتهاد والتحرر من رق التقليد والعصبية المذهبية، فهو امتداد للشخصيات المجددة كابن تيمية وابن القيم وابن الأمير وغيرهم، مع أنه كان في أول حياته على المذهب الزيدي، ثم تحرر منه وأصبح مجتهدا يعتمد على الدليل في ترجيحاته وآرائه حتى وإن خالفت الجمهور سواء في الفقه أو الأصول أو غيرها من العلوم ومن قرأ كتبه يلتمس ذلك جليا[٤].

آثاره

خلَّف الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى ثروة عظيمة من المؤلفات بلغت (٢٧٨) مؤلفا، ولا يزال معظمها مخطوطا رهين الأدراج، ولم يكتب له أن يرى نور النشر والطباعة حتى اليوم، ولو أطنبت في ذكر مؤلفاته – رحمه الله– لطال بي الكلام، في ذكر مؤلفات هذا العلم

(١) انظر: الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الأرب، (١٤٣- ١٤٥).
(٢) انظر: الشرجبي، "الشوكاني، حياته وفكره"، (١٠٥-١٤٣،١٢٩-١٤٥).
(٣) الشوكاني، التحف في مذاهب السلف.
(٤) انظر: الإمام الشوكاني حياته وفكره، ص٢٨٠-٢٨٦.

الهمام؛ ولذلك سأقتصر على أهم كتبه المطبوعة، ومن رام المزيد فليعد إلى مظان تراجمه وذكر مؤلفاته:

١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير.
٢- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.
٣- التحف في مذاهب السلف.
٤- رسالة بغية المستفيد في الرد على من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد.
٥- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.
٦- الدرر البهية وشرحها الدراري المضية.
٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.
٨- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.
٩- الصوارم الحداد، القاطعة لعلائق الإلحاد.
١٠- إرشاد الفحول في تحقيق الحق إلى علم الأصول[١].

المطلب الثاني: منهجه في فتح القدير

تفسير الشوكاني المسمى فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير ويوجد أصله في الجامع الكبير بصنعاء ويقع في ستة مجلدات كبار تحت رقم ٧٩ تفسير بعنوان مطلع البدرين ومجمع البحرين، وقد جانب الصواب من اعتبر كتاب مطلع البدرين مؤلفا آخر للشوكاني في علم التفسير، والصحيح أن المطبوع بعنوان (فتح القدير) والمخطوط بعنوان: مطلع البدرين فينبغي الالتفات إلى ذلك.

وطريقة الشوكاني التي سلكها في تفسيره يكفينا في بيانها عبارته التي ذكرها في مقدمة هذا التفسير مبيناً بها منهجه فيه. قال رحمه الله: "ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة، وها أنا أوضح لك منارها، وأبين لك إيرادها وإصدارها، فأقول: إن غالب المفسِّرين تفرَّقوا فريقين، وسلكوا طريقين، الفريق الأول: اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية، والفريق الآخر: جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللُّغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً، وإن جاءوا به لم يصحوا لها أساساً، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، وإن جاءوا به لم يصحوا لها أساساً، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب، وترك منها ما لا يتم بدونه كمال الانتصاب". ثم قال بعد أن دلل على قوله هذا: "وبهذا يُعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذى وطنت نفسى عليه، والمسلك الذى عزمت على سلوكه إن شاء الله، مع تعرضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لي وجهه، وأخذى من بيان المعنى العربي والإعرابي والبياني بأوفر نصيب، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، أو الأئمة المعتمدين..... فهذا التفسير وإن كبر حجمه فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه، وأصاب غرض الحق سهمه،

(١) المرجع السابق، ص٤٧٦ فما بعدها.

واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فرائد، وقواعد شرائد، ثم أرجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين، فعند ذلك يسفر الصبح لذى عينين، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو اللُّباب، وعجب العُجاب، وذخيرة الطُّلاب، ونهاية مآرب أُولى الألباب... وقد سميته "فتح القدير، الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير"(١).

المطلب الثالث: علاقة مؤلفاته في ظاهرة التعصب والتقليد

دعى الإمام الشوكاني إلى الاجتهاد وترك التقليد في زمن أطبق فيه التقليد والتعصب المذهبي على معظم الأمة الإسلامية، وبذل جهداً كبيراً في ذلك حيث كان يمارس التدريس والإفتاء والقضاء والتأليف في آن واحد، حتى أصبح بهذه الهمة العالية فاتحاً ومجدداً في تاريخ الأمة الإسلامية بكل مجال ولاسيما العلمي والفكري.

والإمام الشوكاني قدم للمكتبة الإسلامية زاداً زاخراً وعلماً نافعاً ومؤلفات تربوا عن الحصر والعد، ولم تكن هذه المؤلفات في فن واحد من فنون المعرفة أو علم واحد من علوم الشرع، ولكنه كان نتاجاً شاملاً تناول أكثر المعارف في عصره.

ومن مؤلفاته مما لها صلة بدراسة الباحث:

كتاب أدب الطلب ومنتهى الإرب:

وضع الإمام الشوكاني في نهاية العقد الرابع من عمره كتابا صغير الحجم كبير الفائدة أودع فيه خلاصة تجاربه التعليمية وتجاربه الشاملة ومنذ البداية أوضح لنا الشوكاني أن ما كتبه هو ما ينبغي لطالب العلم اعتماده في طلبه والتحلي في إيراده وإصداره وإبتدائه وإنتهائه وما يشرع فيه ويتدرج إليه حتى يبلغ مراده على وجه يكون به فائزا بما هو الثمرة والعلة الغائبة التي هي أول الفكر وآخر العمل، وحكى فيه ما وقع له مع المقلدين، وتاريخ حياته كاملا، وما الذي يجب أن يكون عليه طالب العلم وما يجب أن يحصله.

ويقول فيه عن طالب العلم (وهذا يستدعي الاجتهاد ونبذ التقليد لان غايته العلم فلا مدخل فيه لعصبية ولا مجال عنده لحميه بل هو شيء بين الله سبحانه وبين جميع عباده، فالباحث عن الحقيقة لا ينبغي له أن يتبع مذهبا مقرا ولا أن يقلد عالما بدون علم وعليه دائما الإنصاف وعدم التعصب، فبهذا وحده يفوز بأعظم فوائد العلم وأكثرها ربحا).

ويورد الإمام الشوكاني في مؤلفه هذا، سؤالا لماذا التعصب وترك الإنصاف؟

يخلص الإمام الشوكاني في الرد على هذا السؤال إلى جمله من الأسباب أهمها: حب الشرف والمال، والهوى ومحبة الغلب وطلب الظهور، أيضا أن يكون بعض السلف المشتغل بالعلم قد قال بقول ومال الى رأي فيأتي هذا الذي جاء بعده فيحمله حب القرابة على الذهاب إلى ذلك المذهب والقول بذلك القول وإن كان يعلم انه خطأ..... الخ.

(١) انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٢٠/٢.

ومن الخاص الى العام في التعصب للسلف بدون روية أو إنصاف فالشوكاني يقرر أيضا بقوله (وبهذا السبب نجد من كان له سلف على مذهب من المذاهب كان على مذهبه سواء كان ذلك المذهب من مذاهب الحق أو الباطل.

وبعد كل ذلك البسط والتدليل على ضرورة الالتزام بالحق والموضوعية وذلك للإنصاف وترك التعصب يخاطب طالب العلم بان طريقه الصحيحة قد تكون هي طريق العظماء والشهداء[١].

كتاب القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد:

قال في مقدمته: طلب مني بعض المحققين من أهل العلم أن أجمع له بحثا يشتمل على تحقيق الحق في التقليد أجائز هو أم لا، على وجه لا يبقى بعده شك ولا يقبل عنده تشكيك، ولما كان هذا السائل من العلماء المبرزين كان جوابه على نمط علم المناظرة فنقول وبالله التوفيق.....الخ.

كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار:

قال في مقدمته: فإن مختصر الأزهار لما كان مدرس طلبة هذه الديار في هذه الاعصار ومعتمدهم الذي عليه في عباداتهم ومعاملاتهم المدار، وكان قد وقع في كثير من مسائله الاختلاف بين المختلفين من علماء الدين والمحققين من المجتهدين، أحببت أن أكون حكما بينه وبينهم ثم بينهم أنفسهم عند اختلافهم في ذات بينهم، فمن كان أهلا للترجيح ومتأهلا للتقسيم والتصحيح فهو إن شاء الله سيعرف لهذا التعليق قدره، ويجعله لنفسه مرجعًا....الخ.

المبحث الثاني: ظاهرة التعصب والتقليد وأثرها على الفرد والمجتمع

إن هذا الكتاب (القران الكريم) هو الذي قام بتوجيه الحركة الإسلامية الهائلة خلال مدة ثلاثة وعشرين سنة، والتي بدأت عملها من صرخة فرد واحد وانتهت في نهاية المطاف إلى إقامة الخلافة الإلهية في الأرض. وهذا الكتاب هو الذي تولى وضع مخططات الهدم ومشاريع البناء في كل مرحلة من المراحل وفي كل خطوة من الخطوات خلال المعركة المديدة الضارية بين الحق والباطل[٢].

إن القرآن لا يمنع الخلاف النزيه البناء الذي يقع بين القائمين على تفسير الأحكام والقوانين، بناءً على دراساتهم الجدية المخلصة، بينما هم يتلقون فيما يرجع إلى أصل الدين ويتفقون فيما يتعلق بنظام الجماعة الإسلامية. أما الخلاف الذي يذمه القرآن فهو الذي نشأ من نفوسٍ ذات هوى وعقول معوجة، وأنهى به المطاف إلى التكتل والطائفية الممقوتة والنزاع الداخلي. وهذان الخلافان لا يتجانسان في أصلهما ولا يتشابهان في نتائجهما فكيف نحكم عليهما بحكم واحد. أما الخلاف من النوع الأول فهو جوهر الرقي والتطور ومصدر الحياة ونضارتها. ولا بد من أن يوجد في كل مجتمع مكون من أهل الرأي والفكر. ووجوده دليل

(١) انظر: الشوكاني، أدب الطلب ومنتهى الإرب، ص٣٥-٤٤.
(٢) محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، ص٤٣-٤٤.

الحياة والحيوية، ولا يخلو منه إلا مجتمع يتكون من أناس لا يتمتعون برجاحة العقل ووفرة الذكاء بل هم تماثيل خشبية ودمى لا حياة فيها.

وأما الخلاف من النوع الثاني فيعلم جميع أهل الأرض أنه ما ظهر في كتلة بشرية إلا ومزقها شر ممزق وحطمها أشنع تحطيم. فظهوره من أمارات المرض لا من بشائر الصحة، ولم تكسب أمة من الأمم إلا نتائج وخيمة وعواقب مؤلمة(١).

ومما سبق يتبين أن التعصب والتقليد يوجد مجتمعاً مفككاً وممزقاً ومجرداً من وحدة الفكر وإتاحة المجال لأناس لا يتمتعون برجاحة العقل وسعة الأفق وقبول الآخر.

المطلب الأول: أهمية نبذ التعصب والتقليد على الشخصية الإسلامية

السلوك هو الطريقة التي نتصرف بها تبعاً للمشاعر التي تجيش بها أنفسنا، وهو الطريقة المادية التي يتعرف البشر بها على مشاعر بعضهم البعض، فسلوك المرء هو الصورة المادية التي يرى الآخرون بواسطتها حقيقة مشاعر الانسان.

والتصرفات تعكس علمياً طريقة التفكير، لأن الإنسان يتفاعل مع المحيط مستجيباً لإثاراته ومعبراً عن شعوره بواسطة السلوك، ولقد اكتسب الإنسان معظم تصرفاته عن طريق تعديل سلوكه عبر المتغيرات الحيوية والبيئية، ونتج عن تعديل السلوك قواعد أخلاقية وضعية تتوائم مع المتطلبات الاجتماعية، وقوانين اجتماعية لتكون المقياس في حياة المجتمعات.

إن تعديل السلوك يعني العمل على تغير التصرفات بطريقة منهجية ومدروسة، وبما أن جميع أنواع السلوك (بغض النظر عن سببها)، يمكن أن تغير وأن تعدل فقد يكون التغير بواسطة التأثير على المتغيرات في البيئة المحيطة التي تؤثر بشكل مباشر على السلوك، وذلك بدل الاهتمام بالأسباب المباشرة لحصول ذلك السلوك.

ويتكون من مجموع السلوك الفردي في مجتمع ما "الاتجاه". وهو حالة من الاستعداد العقلي والعصبي التي تنظم أو تتكون خلال التجربة والخبرة التي تسبب تأثيراً موجها أو ديناميًا على استجابة الفرد لكل الموضوعات والمواقف، التي ترتبط بهذا الاتجاه إن مجموعة الاتجاهات السائدة في المجتمع، تؤثر على سلوك الناس حتى وإن كانوا لا يؤمنون إيماناً شخصيا بها. وإن عوامل تكوين الاتجاه العام والسلوك الفردي هي: الطفولة والتربية والمجتمع والقيم السائدة والتجارب الشخصية.

والشخصية إذا، هي التنظيم الفردي لاستعدادات الشخص للسلوك في المواقف المختلفة وعندما بعث النبي صلى الله وعليه وسلم كانت عليه مهمة تغير الاتجاه العام في المجتمع الجاهلي وتعديل السلوك الفردي لأشخاص هذا المجتمع.

وأراد الله في القرآن بالإنسان أن يضعه في الموضع الذي أراده له من موقع التكريم. الإنسان الذي يؤمن بالأسرة الإنسانية، والشعور بالمسؤولية، والتعايش السلمي الاجتماعي لإصلاح نفسه واصلاح دنياه بما يدعوه إليه قوام الروح والجسد وطيب الحياة في الدنيا والآخرة.

(١) المرجع السابق، ص٥١.

إن هذه العلاقات الاجتماعية تعرف اليوم باسم (علم النفس الاجتماعي) وهو علم يدرس العلاقة بين الفرد وبين البيئة الاجتماعية التي يعيش في وسطها، كما يدرس مظاهر التفاعل بينهما، ويدرس أيضا الظروف التي تحيط بنمو وتكوين المجتمعات البشرية، فيدرس الحياة العلمية كما يبدو أثرها في المؤسسات أو المنظمات الاجتماعية، كما يدرس تأثير البيئة على نمو الأفراد وسلوكهم فالفرد يتأثر بالمجتمع بطريق مباشر عن طريق الاحتكاك والتعامل مع الجماعات البشرية الأخرى، ويتأثر به أيضا بطريق غير مباشر، وذلك عن طريق التقاليد والعادات والنظم والفلسفات والأعراف والتوقعات الاجتماعية، إذ لا شك أن البيئة المادية والمعنوية تؤثران على سلوك الفرد.

إن التغير في النفوس هو أسرع طريق لإحداث التغير الاجتماعي وكلما كانت النفوس المتغيرة ذات موقع مؤثر، كلما كان التغير أسرع وأكثر عمقاً، ومع أن التغير الاجتماعي حاصل لا محالة حسب قوانين التطور الاجتماعي، ألا أن التغيرات السريعة والمفاجئة، تبدأ بتغير النفوس بسرعة وبشكل مفاجئ، ففي الاحوال العادية ينعكس التغير الاجتماعي الطبيعي والطويل الأمد تغيراً في النفوس، أما في الحالات الخاصة فإن العكس يحصل.

إن إرادة الفرد وهي تساهم في صياغة الإرادة العامة، تساهم في إيجاد التوافق العام في المجتمع، وقد تضطر إلى أن تنزل قليلاً من سقف إيجاد التوافق ليوافق مطالب الآخرين، إن الرأي العام هو حكم جماعي على الأحداث الاجتماعية، التي تمس مصالح الجماهير بشكل أو آخر.

وللرأي العام قوة كبيرة تنظم سلوك الجماهير في مراحل الأحداث الاجتماعية الجارية أو المتوقعة التي تمس مصالح الجماعة أو المجتمع كله، وهو الذي يشير إلى كيفية تقويم الحدث.

وعوامل تشكيل الرأي العام هي العوامل السياسية والعقائدية وحالة الجماهير الانفعالية ونوعية المعلومات والأندية وما يدور فيها ووسائل الإعلام والقائد ووسائله، كما لا تقوم الجماعة المنظمة بدون الفرد، كذلك الفرد، لا يمكن أن يوجد خارج الجماعة، فالأفراد يشكلون الجماعة بتداخلهم وتشابكهم في الحياة الاجتماعية، فالحياة النفسية للفرد تؤثر على حالة الجماعة النفسية، وهذه الاخيرة تؤثر على حالة الفرد النفسية.

إن الانسان يدرك ذاته ويقدمها على اساس معرفة الناس الآخرين، ومقارنة نفسه وظروفه بنفوسهم وظروفهم، فاتصال الناس واختلاطهم ذو اهمية كبيرة في تكوين العالم الروحي للفرد الواحد أو الجماعة.

فأثناء الاتصال يتبادل الناس الآراء، فيتوافقون أو يتصارعون، وهذا هو منشأ الحركة والتغير في المجتمعات.

والناس يميلون عادة إلى قياس ومقارنة وضعهم وأفكارهم ومعاناتهم بوضع الاخرين وأفكارهم ومعاناتهم.

وإن ظروف الحياة المادية تؤثر تأثيرا حاسما على السيكولوجية الاجتماعية، وتتوقف على هذا الظروف إمكانيات التطور والتقدم، بل أنها تحدد اتجاه خواطر الناس وإنفعالاتهم ومصالحهم وأمانيهم ورغباتهم وإرادتهم.

لقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجتمع المسلمين أن يمثل المجتمع المثالي الذي يحمل أشرف رسالة، فنراه يضع قواعد التعامل الاجتماعي بين المسلمين، وتمثل هذه القواعد الخطوط التي يمكن بواسطتها قراءة علم النفس الاجتماعي عند المجتمع المسلم.

إن اهم هدف لعلم النفس الاجتماعي، هو دراسة السبل والوسائل التي يستطيع هذا المجتمع بواسطتها ان يتطور ويتقدم، وبالتالي يعيش ابناؤه بسلام واكتفاء مادي وروحي وبما أن المجتمع هو الوعاء الذي يعيش فيه الإنسان، فإن هذا الانسان ينضح بما في هذا الإناء، وتأتي معظم أسباب الانحرافات التي تصيب الافراد من المجتمع(١).

فنبذ التعصب والتقليد يشكل أفراداً ذوو شخصيات متوازنة تسود المجتمع، فيحكمه اتجاه عام يؤمن بالأسرة ويشعر بالمسؤولية نحو التوافق الاجتماعي، ويكون لبنة صالحة للتعايش السلمي الاجتماعي وتنتهي الصراعات والسلوكيات الغير مرغوبة.

المطلب الثاني: طرق عملية لمعالجة ظاهرة التعصب والتقليد

ومن مقتضيات مراعاة احوال المخاطبين أن يحرص الداعية على اختيار الموضوعات الملائمة لهم. فيتحدث عن الموضوعات التي هم في حاجة الى معرفتها ويستفيدون من معالجتها، ولا يثير أمامهم الموضوعات التي هم في غنى عنها، ويجب عليه كذلك عند اختيار الموضوعات ومعالجتها مراعاة المستوى العقلي والفكري للمخاطبين. وأن الداعية كالطبيب فلا يقدم للمصاب بمرض السرطان علاج مرض السكري، ولا لمريض السكر علاج مرض الصدر، بل يقدم لكل مريض العلاج المناسب له، ويراعي كذلك عند تقديم العلاج القدر والأسلوب الملائمين لطبيعة المريض كي لا يصير ضرر العلاج أكثر من نفعه. وقد أهتم بهذا كله قدوة الدعاة وإمام الأنبياء وقائد المرسلين رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد تجلى هذا في سيرته المطهرة في عدة وجوه، ومن تلك الوجوه:

١- تنويع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في وصاياه الكريمة.

٢- تنويع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الاجابة رغم اتحاد السؤال.

٣- تخصيص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ببعض الأخبار دون الاخرين وأهتم كذلك بهذا الامر سلفنا الصالح، وتجلى ذلك لديهم في عدة وجوه، منها ما يلي:

١- مراعاة السلف الصالح عقول الناس عند التحدث إليهم.

٢- تأكيد السلف الصالح على ضرورة مراعاة عقول الناس عند التحدث إليهم.

ومما تقتضيه مراعاة أحول المخاطبين أن يحرص الداعي على أن يستخدم ما يتناسب معهم من اللين والشدة. فهناك أناس لا تزيدهم الشدة إلا بعداً ولا تنتج القسوة إلا نفوراً، وهناك آخرون لا يزيدهم اللين إلا طغياناً ولا يثمر الرفق معهم إلا عصياناً، فيجب على الداعي أن يراعي حال هؤلاء وأولئك، فيستخدم مع كل صنف من اللين أو الشدة ما يرجى – بفضل الله تعالى– من روائه أن تكون الدعوة أسرعه وأقوى وأكثره تأثيراً، ومما يدل على ضرورة الاهتمام بهذا ما يلي:

١- تشريع الله عز وجل عدة درجات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراعاة لأحوال الناس.

(١) انظر: الجسماني، النفس في المنهج القرآني، ص١٥٨، قاسم شهاب صباح، علم النفس النبوي، ص٦٧-٦٨.

٢- مراعاة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أحوال الناس عند استخدام اللين والشدة معهم.
وللعلم فإن الأصل في الدعوة أن تكون بلين ورفق:

ولا يفهم مما ذكر أن الدعوة باللين والرفق، والدعوة بالشدة والقسوة كفتان أو طرفان متساويان للدعوة، بل دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الاصل في الدعوة الى الله تعالى ان تكون بلين ورفق، ولا يلجأ إلى الشدة والقسوة إلا عند الضرورة، وقد تجلى هذا في سيرة قدوة الدعاة إمام النبيين وقائد المرسلين صلى الله عليه وسلم وبينه علماء الامة.

مما يعترض الداعية فتنة مسايرة الواقع وضغط الفساد ومسايرة العادات، ومراعاة رضا الناس وسخطهم، وهي فتنه لا يستهان بها، فلقد سقط فيها كثير من الناس وضعفوا عن مقاومتها، والموفق من ثبته الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [سورة ابراهيم: ٢٧](١).

وفي نظر الباحث فان أهم الحلول لتجفيف منابع هذه الظاهرة واندثارها الآتي:

١- الرجوع الى المنهج الصحيح للهداية والتربية

إن المنبع الاول لهداية الناس وتربيتهم هو كتاب الله، حبل الله المتين، وإن فهم مقاصده ضرورة دينية وحاجة دعوية وتربوية وسلوكية ...الخ.

فالقرآن منهج تربية للمسلمين حيث أن اعداد الامة فرداً وجماعة، والعمل على نقلها السريعة من وضع متردٍ إلى وضع اسمى وافضل وأقوم، ليس بالأمر الهين اليسير، بسبب إصرار الناس على ما ألفوه وورثوه فيصبح جزءاً من حياتهم، فيحتاج الأمر إلى التدرج بهم من حال إلى حال، لتحسين أوضاعهم في جميع المجالات. ولهذا جاء القرآن العظيم منهج تربية للمسلمين، فأيقظ فيهم عوامل الخير وبواعث العقل، وحول طاقتهم وبدل أحوالهم، ووجههم توجيهاً عالياً وقويماً، فانتقلت الأمة من حال الضعف إلى حال القوة، ومن حال المرض إلى الصحة ومن التخلف والتفرق والضياع إلى ذروة التقدم والوحدة والوئام والتعاون، حتى أصبحت خير أمة أخرجت للناس. ولم يأت الأمر من فراغ بل كان القرآن العظيم يوجه أفراد المجتمع الاسلامي في جميع مجالات التربية: العقيدية والعبادية والأخلاقية والثقافية والاقتصادية والسياسية. ولا يوجد كتاب في التربية – قديماً كان أو حديثاً – يحوي الثروة التربوية العظمى في الأهداف والمحتويات والأساليب، مقرونة بالتسامي والواقعية والشمول والاتزان كالقرآن العظيم. فهو يحوي– بين دفتيه – جميع عناصر التربية الصالحة للمسلمين وكل كلمة فيه تعد توجيهاً تربوياً لإنشاء "المسلم الصالح" في هذه الأرض.

فهداية القرآن للناس تتم من خلال كشفه وإنارته لكل الجوانب التي تتعلق بحركة الإنسان الخارجية، وكذلك كل ما يوجد بداخله من جوانب غامضة، واسئلة محيرة، وتصورات خاطئة، يكشفها القرآن الكريم ويوجهها الوجهة الصحيحة، وهو ما يعبر عنه "بسبل السلام" في قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

(١) انظر: فضل إلهي، مراعاة أحوال المخاطبين ص٤٤.

فالهدف الرئيس إذا للقرآن العظيم هو الوصول بمن يتبعه إلى بر الأمان في كل ما يتعلق به من أمور الدنيا قبل الآخرة.

وفي هذه الآية الكريمة أوضح دليل على أن القرآن الكريم "يخرج كل أمة – آمنت به، وعملت بمقتضاه، واتخذته إماماً وحكماً – من ظلمات الشقاء المادي والروحي إلى نور السعادة الكبرى، حتى تكون أسعد الأمم في حياتها من جميع الوجوه، ولا تكاد تساويها في ذلك أمة أخرى من الأمم المخالفة، وذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاؤوا بنور القرآن وكل أمة استضاءت به بعدهم".

وخلاصة القول: أن هداية القرآن العظيم هداية شاملة للأمة بكل أفرادها ومرافقها ومجالاتها وحياتها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢].

فالقرآن روح ولن يهدي إلا ذا روح، والقرآن نور، والله تعالى يهدي بهذا الروح وبهذا النور، وهو الذي شرف رسوله صلى الله عليه وسلم ليهدي بهذا القرآن العظيم إلى صراط الله المستقيم(١).

القرآن منهاج شامل كامل لحياة البشر، ولذا ينبغي أن يعلم يقيناً أن الله تعالى نزل القرآن تبياناً لكل شيء، فهو منهاج عملي يتضمن الأصول الموجهة لحياة الفرد وعلاقته بالرب سبحانه وعلاقته بالكون والحياة من حوله وعلاقته بنفسه وعلاقته بأسرته وجيرانه ومجتمعه وعلاقته بأمته سواء من يسالمون وممن يحاربونه، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وكذلك هو حياة للمستجيبين له، إذ الحياة النافعة تحصل بالاستجابة لله ولرسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له وأن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين الحيوانات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال قتادة (رحمة الله) في قوله (لما يحييكم) هو هذا القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة.

فالحياة الحقيقية إذ هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً فأكمل الناس حياة أكملهم استجابة لهذا القرآن، ففيه الحياة الكاملة ومن فاته جزء من الاستجابة للقرآن فقد فاته جزء من الحياة الحقيقية.

٢- السلام الداخلي والاجتماعي

نحن إلى جانب الأمن والاستقرار والنظام في حاجة حتى تزدهر إلى شيوع السلام: السلام الداخلي والسلام الاجتماعي، أما السلام الداخلي فيكون لدى الواحد منا من خلال صلته بخالقه عز وجل ومن خلال عيشه وفق مبادئه وقيمه وشعوره أنه على الطريق القويم،

(١) محمد تقي الدين الهلالي، مباحث في القرآن الكريم، ص٨٥-٨٦.

أما السلام الاجتماعي فيكون بسبب السعي الحثيث إلى تكوين المجتمع المسلم عن طريق الدعوة والعدل والتربية الجيدة والشفافية في العلاقات وإلى جانب معالجة المشكلات المختلفة بالحكمة والاساليب السليمة بعيداً عن التعانف والتطاحن والاقتتال، وهذا يحتاج إلى شعور الجميع بالمسؤولية والقيام بأدوارهم الإصلاحية بإخلاص ومثابرة.

كذلك عمل القرآن على تهذيب الغرائز واستثمارها ايجابياً، لأن المولى سبحانه وتعالى ركب في الانسان غرائز متعددة ابتلاء وامتحانا وقد جاء القرآن بتهذيب هذه الغرائز وتوظيفها واستثمارها ايجابياً لصالح الفرد المسلم وكان لذلك أثرها في الاتباع والانقياد لشرع الله تعالى من خلال حثه على التوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧].

وبقدر عناية المسلمين بالقرآن تكون رفعتهم وعلو مكانتهم ورقيهم وتعايشهم وبقدر اهمالهم له يكون ضياعهم وهلاكهم وظهور المشكلات التي تفتك بهم يقول صلى الله عليه وسلم: (أن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين)(١) ولقد عرف المسلمون الأوائل مكانة القرآن والهدف الذي أنزل من أجله فطبقوه في واقع حياتهم فأعزهم الله بالقرآن فسادوا الدنيا بأسرها مشرقها ومغربها وأصبحوا خير أمة اخرجت للناس(٢).

٣- التوعية لادراك عواقب التعصب والتقليد

إذا عرف الإنسان نفسه حق معرفتها، فقد لا يحيد عن السبيل القويم، ولا يشتط في سلوكه. وإن النفس كما يذكر أبو حامد الغزالي (واحد ليس له كمية ولا مقدار).

ولكن هل تبقى النفس الإنسانية على استقامتها دائماً بحيث تتمثل فيها فضائل الأخلاق، كما مر ذكر ذلك من قبل؟ إن واقع الحياة لا يشير إلى ذلك، وإن ما يصدر عن الإنسان من سلوكيات يبرهن على النفس لا تظفر دوماً بالاستقامة المحببة المبتغاة(٣).

لذلك فإن علاج السلوك السيء هو رياضة النفس وتعويدها على الخلق الحسن المضاد للخلق السيء، وحمل النفس على اتباع السلوك السليم.

ولن يتأتى ذلك إلا بالتوعية المستمرة لعواقب التعصب والتقليد الوخيمة على الفرد والمجتمع.

وكان الغزالي ينصح بالتدرج من أجل اقتلاع أسباب السلوك السيء المتأصل في النفس. وذلك بأن ينقل الفرد من السلوك والخلق السيء إلى خلق آخر أخف منه وطأة. وأن يستمر التدرج هذا حتى يتخلص الفرد نهائياً من السلوك السيء المطلوب علاجه أصلاً. فإذا كان مثلاً: (شره الطعام غالباً عليه – على الفرد– ألزمه الصوم وتقليل الطعام، ثم يكلفه أن يهيىء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى تقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه)(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل من يقوم بالقران ويعلمه، برقم (٨١٧).
(٢) انظر: عبدالكريم بكار، كيف نفهم الأشياء من حولنا، ص١٦٠.
(٣) الجسماني، النفس في المنهج القرآني، ص٢٤٦.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤٨.

٤- الاستمتاع بعلاقات اجتماعية سليمة

ان الاستمتاع بعلاقات اجتماعية سليمة، والقدرة على تحمل المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية، واحترام إرادة الجماعة، والالتزام بما تتفق عليه وتحسس آلام وآمال الآخرين، ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم.

لقد نظم الدين الإسلامي صور العلاقات الإنسانية وبين كيف يجب أن تكون، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصف المؤمنين في توادهم وتراحمهم بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، والرسول صلى الله عليه وسلم هو نفسه ذكر كيف كان جبريل عليه السلام يوصيه بالجار حتى ظن الرسول أنه سيورثه. وكيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالتقيد بأوامر الله تعالى بوجوب إيفاء الكيل والميزان ورد الأمانات إلى أصحابها والحكم بالعدل بين الناس(١).

إن لكل إنسان قوتين تستقران في أغوار نفسه: إحداهما عاقلة بها يهتدي إلى سبل السلام إن هو تشبث بأهدابها. والأخرى شهوية تفضي به إلى المهالك، إن هو أسلمها زمام نفسه.

الناس في سلوكهم وتصرفاتهم إنما هم بين أمرين: أمر ممدوح، وأمر مقدوح.

ولما كان الإنسان أعقل خلائق الله، وجب عليه اتباع الحق وجادة الصواب ويربأ بنفسه عن مداناة كل مستقبح.

وهل يوجد أقبح من تشظّي المجتمع وتفرقه واختلاف أفراده وصراعاتهم التي يحكمها الهوى والتعصب والتقليد الأعمى.

٥- الاجتهاد المعاصر المنضبط بالأصول والثوابت

ان الاجتهاد المنضبط بالأصول والثوابت وحرية الاختيار المؤطرة بالآداب العامة والأعراف الصالحة يصبان في مصلحة الأمة وعلينا أن نقاوم الفوضى في الاجتهاد والاختيار.

فنحن نحب الاجتهاد ونحب التجديد والابداع والريادة الفكرية ونحترم كل من يفعل ذلك ونحب الى جانب ذلك وحدة الكلمة وتماسك الصفوف وتماثل الخطوات.

ونحن نحب ان تكون اوطاننا قوية وصلبه ونحب أن تكون امور البلاد والاسر والهيئات قائمة على التفاوض والتشاور وتبادل الآراء والاقناع والاختيار والتعايش واحتواء الاخر وطلب الحق اينما كان وعلى يد من كان.

فالناس ذوي الثقافة المنخفضة يميلون الى التقليد بوصفه الاداة التي تجمع اعداداً كبيرة من الناس تحت لواء واحد كما أنهم يميلون الى تقديس العادات والتقاليد للسبب نفسه ويرتاحون للتوحد الشعوري التي يتيحه التعبد الجماعي كحلقات الذكر مثلاً على مقدار اعراضهم عن الاحكام الموضوعية التي تكشف عن الاخطاء وتؤدي الى تقسيم الناس الى مخطئ ومصيب، وهذا يهيئ المناخ لانتشار الخرافات والشعوذات والأكاذيب دون أن يكون هناك من

(١) الجسماني، النفس في المنهج القرآني، ص٢٥٤.

يتصدى لها بالنقد والتمحيص على ما هو ملموس في المجتمعات التي يسودها الجهل والامية[١].

فلا بد من اجتهاد معاصر منضبط لان التشريع الاسلامي المنشود هو الذي يقوم على اساس اجتهاد عصري سليم.

ولكن لا بد لنا ان نحذر هنا من فئتين من الناس:

- فئة الذين يريدون أن يطوعوا الاسلام للعصر، ويجعلوه عجينه لينه قابلة للتشكيل في أي صورة ولا يريدون أن يقفوا عند قران أو سنه ولا اجماع ولا قياس، كالذين يحاولون اليوم تحليل فوائد البنوك مع اتفاق كل المجامع والمؤتمرات العلمية الاسلامية على تحريمها.
- وفئة الذين يريدون أن يجمدوا الاسلام في قوالب حجرية صنعتها عقول من قبلنا مناسبه لزمانهم ولم تعد مناسبة لزماننا وهؤلاء نوعان.

١- مذهبيون مقلدون متعصبون لمذاهبهم لا يرون الخروج لنا قيد شعرة وخصوصًا أقوال المتأخرين.

٢- لا مذهبيون حرفيون ممن اسميهم الظاهرية الجدد. وهؤلاء واولئك هم الذين يشهرون سيف الاجبار على كل عالم رأي رايا جديداً أو مخالفاً لمن كان قبلة وإن كان من كبار العلماء وأساطين الشيوخ الذين قضوا أعمارهم سباحين وغواصين في بحار العلوم الاسلامية وكان لهم انتاجهم وشهرتهم التي طبقت الآفاق[٢].

فنحن نريد اجتهاد لا فوضى ولا تجديد ولا تبديد فان الدعوة إلى الاجتهاد لعصرنا لا تعني الفوضى وفتح الباب على مصراعيه لكل مدع متطاول وأن لم يحصل شروط الاجتهاد الاساسية.

إن بعض دعاة التجديد أو التطوير يريدون أن يطوروا الاسلام ذاته حتى يوافق اهوائهم ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١] واهوائهم إنما كونتها المعارف التي تسولوها من موائد الثقافة الغربية مع معرفة ضحلة أو مشوشة بالإسلام أو جهل للتطبيق به في بعض الاحيان فهم لهذا لا يفرقون بين الجانب الذي له صفة الثبات والخلود في أحكام الاسلام وتوجيهاته والجانب المرن المتطور الذي يتغير بتغير الزمان والمكان والحال[٣].

فالاجتهاد المعاصر المنضبط بالأصول والثوابت المؤطرة بالآداب العامة والأعراف الصالحة حصن حصين للمجتمع من التفرق والتشتت وينتج مرجعية واحدة مجتهدة وأهل رأي وفكر واحد.

(١) عبدالكريم بكار، كيف نفهم الاشياء من حولنا، ص٤٥.
(٢) القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم، ص١٩٧.
(٣) المرجع السابق، ص١٩٨.

(الجانب التطبيقي).

قام الباحث في هذه الدراسة بمنهج استقرائي تطبيقي لتفسير فتح القدير متوقفاً عند جميع المواضع التي أورد فيها الإمام الشوكاني ظاهرة التعصب والتقليد محذرا منها بعدة أساليب حيث جمع بين اللين في الخطاب لترك هذه الظاهرة مع الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة، وبين قوة الخطاب لمن أصرَّ على هذه الظاهرة، مع تحذيره من ظواهر وسلوكيات أخرى تؤدي إليها، فقد أفاد وأجاد.

ونظراً لاشتراط مجلات التحكيم ونشر البحوث بأن تكون مثل هذه الدراسات مؤطرة ومحددة بقدر مُعين لِيتسع المجال لبقية الباحثين، ولذا فإن الباحث سيورد أمثله توضيحية فقط لكل أسلوب عرض الإمام الشوكاني فيها هذه الظاهرة وحيثياتها، على أمل أن يُيسر المولى سبحانه وتعالى لنشر هذه الدراسة مكتملة بمؤلف خاص وهو مولانا ونعم النصير.

المطلب الأول: رد الحجة بالحجة

وذكر المؤلف رحمه الله: ذلك عند تفسيره لبعض الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨] فقال رحمه الله: سبحان الله العظيم ما أقوى هذه الحجة وأوضحها، وأظهرها للعقول، فإنهم لما نسبوا الافتراء إلى واحد منهم في البشرية والعربية، قال لهم: هذا الذي نسبتموه إليّ وأنا واحد منكم، ليس عليكم إلا أن تأتوا، وأنتم الجمع الجمّ، بسورة مماثلة لسورة من سوره، واستعينوا بمن شئتم من أهل هذه اللسان العربية على كثرتهم وتباين مساكنهم، أو من غيرهم من بني آدم، أو من الجنّ، أو من الأصنام، فإن فعلتم هذا بعد اللتيا والتي، فأنتم صادقون فيما نسبتموه إليّ وألصقتموه بي، فلم يأتوا عند سماع هذا الكلام المنصف، والتنزّل البالغ، بكلمة ولا نطقوا ببنت شفة، بل كاعوا عن الجواب، وتشبثوا بأذيال العناد البارد، والمكابرة المجردة عن الحجة، وذلك مما لا يعجز عنه مبطل، ولهذا قال سبحانه عقب هذا التحدّي البالغ {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ} فأضرب عن الكلام الأوّل، وانتقل إلى بيان أنهم سارعوا إلى تكذيب القرآن، قبل أن يتدبروه ويفهموا معانيه، وما اشتمل عليه، وهكذا صنع من تصلب في التقليد، ولم يبال بما جاء به من دعا إلى الحق وتمسك بذيول الإنصاف، بل يردّه بمجرد كونه لم يوافق هواه، ولا جاء على طبق دعواه قبل أن يعرف معناه، ويعلم مبناه، كما تراه عياناً وتعلمه وجداناً.

والحاصل أن من كذب بالحجة النيرة، والبرهان الواضح، قبل أن يحيط بعلمه، فهو لم يتسمك بشيء في هذا التكذيب، إلا مجرد كونه جاهلاً لما كذب به غير عالم به، فكان بهذا التكذيب منادياً على نفسه بالجهل بأعلى صوت، ومسجلاً بقصوره عن تعقل الحجج بأبلغ تسجيل، وليس على الحجة ولا على من جاء بها من تكذيبه شيء:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومعنى الآية: النهي عن أن يقول الإنسان ما لا يعلم، أو يعمل بما لا علم له به، وهذه قضية كلية، وقد جعلها جماعة من المفسرين خاصة بأمور: فقيل: لا تذم أحداً بما ليس لك به علم؛ وقيل: هي في شهادة الزور؛ وقيل: هي في القذف. وقال القتيبي: معنى الآية: لا

تتبع الحدس والظنون، وهذا صواب، فإن ما عدا ذلك هو العلم؛ وقيل: المراد بالعلم هنا: هو الاعتقاد الراجح المستفاد من مستند قطعياً كان أو ظنياً. قال أبو السعود في تفسيره: واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه. وأقول: إن هذه الآية قد دلت على عدم جواز العمل بما ليس بعلم، ولكنها عامة مخصصة بالأدلة الواردة بجواز العمل بالظنّ كالعمل بالعامّ، وبخبر الواحد، والعمل بالشهادة، والاجتهاد في القبلة وفي جزاء الصيد ونحو ذلك، فلا تخرج من عمومها ومن عموم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [يونس: ٣٦]. إلاّ ما قام دليل جواز العمل به، فالعمل بالرأي في مسائل الشرع إن كان لعدم وجود الدليل في الكتاب والسنّة، فقد رخص فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه قاضياً: «بم تقضي؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد، قال: فبسنّة رسول الله، قال: فإن لم تجد، قال: أجتهد رأيي». وهو حديث صالح للاحتجاج به كما أوضحنا ذلك في بحث مفرد. وأما التوثب على الرأي مع وجود الدليل في الكتاب أو السنّة، ولكنه قصر صاحب الرأي عن البحث فجاء برأيه فهو داخل تحت هذا النهي دخولاً أوّلياً، لأنه محض رأي في شرع الله، وبالناس عنه غنىً بكتاب الله سبحانه وبسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم تدع إليه حاجة، على أن الترخيص في الرأي عند عدم وجود الدليل إنما هو رخصة للمجتهد يجوز له أن يعمل به، ولم يدل دليل على أنه يجوز لغيره العمل به، وينزله منزلة مسائل الشرع، وبهذا يتضح لك أتمّ اتضاح، ويظهر لك أكمل ظهور أن هذه الآراء المدوّنة في الكتب الفروعية ليست من الشرع في شيء، والعامل بها على شفا جرف هار، فالمجتهد المستكثر من الرأي قد قفا ما ليس له به علم، والمقلد المسكين العامل برأي ذلك المجتهد قد عمل بما ليس له به علم ولا لمن قلده ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠]. وقد قيل: إن هذه الآية خاصة بالعقائد ولا دليل على ذلك أصلاً. ثم علل سبحانه النهي عن العمل بما ليس بعلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الاسراء:٣٦] إشارة إلى الأعضاء الثلاثة، وأجريت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها.

المطلب الثاني: التحذير من ظاهرة التعصب والتقليد صراحة بقوة الخطاب

وذكر المؤلف رحمه الله: ذلك عند تفسيره لبعض الآيات ومنها قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

فقال رحمه الله: وَقالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا هَذِهِ الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَالْمُرَادُ بِالسَّادَةِ وَالْكُبَرَاءِ: هُمُ الرُّؤَسَاءُ، وَالْقَادَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَمْتَثِلُونَ أَمْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ، وَفِي هَذَا زَجْرٌ عَنِ التَّقْلِيدِ شَدِيدٌ. وَكَمْ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى هَذَا، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَالتَّنْفِيرِ عَنْهُ، وَلَكِنْ لِمَنْ يَفْهَمُ مَعْنَى كَلَامِ اللَّهِ، وَيَقْتَدِي بِهِ، وَيُنْصِفُ مِنْ نَفْسِهِ، لَا لِمَنْ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْأَنْعَامِ، فِي سوء الفهم، ومزيد الْبَلَادَةِ، وَشِدَّةِ التَّعَصُّبِ.

وكذلك ذكر المؤلف رحمه الله ذلك بقوة الخطاب للتحذير من هذه الظاهرة عند قوله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

فقال رحمه الله: وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد، وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم، ويتبعون آثارهم، ويقتدون بهم، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة، أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها، وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير، ولا حجة واضحة، بل بمجرّد قال. وقيل: لشبهة داحضة، وحجة زائفة، ومقالة باطلة، قالوا: بما قاله المترفون من هذه الملل: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون، أو بما يلاقي معناه معنى ذلك، فإن قال لهم الداعي إلى الحقّ: قد جمعتنا الملة الإسلامية، وشملنا هذا الدين المحمدي، ولم يتعبدنا الله، ولا تعبدكم، وتعبد آباءكم من قبلكم إلاّ بكتابه الذي أنزله على رسوله، وبما صحّ عن رسوله، فإنه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه، الفارق بين محكمه، ومتشابهة، فتعالوا نردّ ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله، وسنّة رسوله كما أمرنا الله بذلك في كتابه بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فإن الردّ إليهما أهدى لنا ولكم من الردّ إلى ما قاله أسلافكم، ودرج عليه آباؤكم، نفروا نفور الوحوش، ورموا الداعي لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر، كأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ [النور: ٥١]، ولا قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]، فإن قال لهم القائل: هذا العالم الذي تقتدون به، وتتبعون أقواله هو مثلكم في كونه متعبداً بكتاب الله، وسنّة رسوله، مطلوباً منه ما هو مطلوب منكم، وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل، فذلك رخصة له لا يحلّ أن يتبعه غيره عليها، ولا يجوز له العمل بها، وقد وجدوا الدليل الذي لم يجده، وها أنا أو حاكموه في كتاب الله، أو فيما صحّ من سنّة رسوله، وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا نعمل بهذا، ولا سمع لك، ولا طاعة، ووجدوا في صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب، والسنّة، ولم يسلموا ذلك، ولا أذعنوا له، وقد وهب لهم الشيطان عصي يتوكئون عليها عند أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب، والسنّة، وهي أنهم يقولون: إن إمامنا الذي قلدناه، واقتدينا به أعلم منك بكتاب الله، وسنّة رسوله، وذلك لأن أذهانهم قد تصوّرت من يقتدون به تصوراً عظيماً بسبب تقدّم العصر، وكثرة الأتباع، وما علموا أن هذا منقوض عليهم، مدفوع به في وجوههم، فإنه لو قيل لهم: إن في التابعين من هو أعظم قدراً، وأقدم عصراً من صاحبكم، فإن كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية حتى توجب الاقتداء، فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصراً، وأجلّ قدراً، فإن أبيتم ذلك، ففي الصحابة رضي الله عنهم من هو أعظم قدراً من صاحبكم علماً، وفضلاً، وجلالة قدر، فإن أبيتم ذلك، فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدراً، وأجلّ خطراً، وأكثر أتباعاً، وأقدم عصراً، وهو: محمد بن عبد الله نبينا، ونبيكم، ورسول الله إلينا، وإليكم، فتعالوا، فهذه سنّته موجودة في دفاتر الإسلام، ودواوينه التي تلقتها جميع هذه الأمة قرناً بعد قرن، وعصراً بعد عصر، وهذا كتاب ربنا خالق الكل، ورازق الكل، وموجد الكل بين أظهرنا موجود في كل بيت، وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير، ولا تبديل، ولا زيادة، ولا نقص، ولا تحريف، ولا تصحيف، ونحن، وأنتم ممن يفهم ألفاظه، ويتعقل معانيه، فتعالوا لنأخذ الحقّ من معدنه، ونشرب صفو الماء من منبعه، فهو أهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا

سمع، ولا طاعة، إما بلسان المقال، أو بلسان الحال، فتدبر هذا، وتأمله إن بقي فيك بقية من إنصاف، وشعبة من خير، ومزعة من حياء، وحصة من دين، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وقد أوضحت هذا غاية الإيضاح في كتابي الذي سميته «أدب الطلب ومنتهى الأرب»، فارجع إليه إن رمت أن تنجلي عنك ظلمات التعصب، وتتقشع لك سحائب التقليد.

وكذلك ذكر المؤلف رحمه الله ذلك بقوة الخطاب للتحذير من هذه الظاهرة عند قوله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

فقال رحمه الله: وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدى بقوله ويستنّ بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص، وقامت به حجج الله وبراهينه، ونطقت به كتبه وأنبياؤه، هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم، وحرّموا ما حرّموا، وحللوا ما حللوا، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة، والتمرة بالتمرة، والماء بالماء، فيا عباد الله، ويا أتباع محمد بن عبد الله، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً، وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وأفاده. فعلتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق، ولم تعضد بعضد الدين، ونصوص الكتاب والسنة، تنادي بأبلغ نداء، وتصوّت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه، فأعرتموهما آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأفهاماً مريضة، وعقولاً مهيضة، وأذهاناً كليلة، وخواطر عليلة، وأنشدتم بلسان الحال:

وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

فدعوا – أرشدكم الله وإياي– كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم، واستبدلوا بها كتاب الله، خالقهم وخالقكم، ومتعبدهم ومتعبدكم، ومعبودهم ومعبودكم، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاؤوكم به من الرأي بأقوال إمامكم وإمامهم، وقدوتكم وقدوتهم، وهو الإمام الأوّل: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

دعوا كل قول عند قول محمد ... فما آبن في دينه كمخاطر

اللهم هادي الضالّ، مرشد التائه، موضح السبيل، اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى الصواب، وأوضح لنا منهج الهداية.

المطلب الثالث: التحذير من ظاهرة التعصب والتقليد صراحة مع اعطاء البديل

وذكر المؤلف رحمه الله: ذلك عند تفسيره لبعض الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٤٠].

فقال رحمه الله: الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من مؤمن ومنافق؛ لأن من أظهر الإيمان، فقد لزمه أن يمتثل ما أنزله الله؛ وقيل إنه خطاب للمنافقين فقط كما يفيده التشديد والتوبيخ.

وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها الذي هو المعتبر دون خصوص السبب دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص، والاستهزاء للأدلة الشرعية، كما يقع كثيراً من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى قال إمام مذهبنا كذا، وقال فلان من أتباعه بكذا، وإذا سمعوا من يستدلّ على تلك المسألة بآية قرآنية، أو بحديث نبوي سخروا منه، ولم يرفعوا إلى ما قاله رأساً، وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع، وخطب شنيع، وخالف مذهب إمامهم الذي نزلوه منزلة معلم الشرائع، بل بالغوا في ذلك حتى جعلوا رأيه العايل، واجتهاده الذي هو عن منهج الحق مائل، مقدّماً على الله، وعلى كتابه، وعلى رسوله، فإنا لله، وإنا إليه راجعون، ما صنعت هذه المذاهب بأهلها، والأئمة الذين انتسب هؤلاء المقلدة إليهم برآء من فعلهم، فإنهم قد صرّحوا في مؤلفاتهم بالنهي عن تقليدهم، كما أوضحنا ذلك في رسالتنا المسماة بـ«القول المفيد في حكم التقليد» وفي مؤلفنا المسمى بـ«أدب الطلب، ومنتهى الأرب» اللهم انفعنا بما علمتنا، واجعلنا من المقتدين بالكتاب والسنة وباعد بيننا وبين آراء الرجال المبنية على شفا جرف هار، يا مجيب السائلين.

وذكر رحمه الله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [ال عمران: ١٠٢]. أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام، أو بالقرآن، ونهاهم عن التفرق الناشيء عن الاختلاف في الدين، ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم، وبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام، وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً، وينهب بعضهم بعضاً، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخواناً وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر، فأنقذهم الله من هذه الحفرة بالإسلام.

وجوب العمل بنصوص الكتاب والسنة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]

الأمر هنا بالاستجابة مؤكد لما سبق من الأمر بالطاعة.

ويستدلّ بهذا الأمر بالاستجابة على أنه يجب على كل مسلم إذا بلغه قول الله أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به كائناً ما كان، ويدع ما خالفه من الرأي وأقوال الرجال. وفي هذه الآية الشريفة أعظم باعث على العمل بنصوص الأدلة، وترك التقيد بالمذاهب، وعدم الاعتداد بما يخالف ما في الكتاب والسنة كائناً ما كان.

المطلب الرابع: التحذير من ظاهرة التعصب والتقليد بالتعريض والتلميح

وذكر المؤلف رحمه الله: ذلك عند تفسيره لبعض الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فقال رحمه الله: وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب، وتتصدع منه الأفئدة، ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه، والقائمين ببيان شرائعه، ترك الدِّهان لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء، التاركين للعمل بالكتاب والسنة، المؤثرين لمحض الرأي عليهما؛ فإن غالب هؤلاء، وإن أظهر قبولاً، وأبان من أخلاقه ليناً لا يرضيه إلا اتباع بدعته، والدخول في مداخله، والوقوع في حبائله، فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله

من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه، وسنّة رسوله، لا ماهم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة، وجهالة بينة، ورأي منهار، وتقليد على شفا جرف هار، فهو إذ ذاك ما له من الله من وليّ، ولا نصير، ومن كان كذلك، فهو مخذول لا محالة، وهالك بلا شك، ولا شبهة.

المطلب الخامس: التحذير من مظاهر أخرى تؤدي الى التعصب والتقليد

على النحو الآتي:

النهي عن الفساد في الأرض

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

(والفساد ضد الصلاح، وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها. فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً فهو فاسد وفسيد. والمراد في الآية: لا تفسدوا في الأرض بالنفاق، وموالاة الكفرة، وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، فإنكم إذا فعلتم ذلك فسد ما في الأرض بهلاك الأبدان وخراب الديار وبطلان الذرائع كما هو مشاهد عند ثوران الفتن والتنازع.

ترك المنحرفين الذين لا يقبلون الحق

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وفي هذه الآية مبالغة عظيمة، وهي متضمنة للتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وترويح خاطره، لأن هؤلاء لا تؤثر فيهم كل آية، ولا يرجعون إلى الحق، وإن جاءهم بكل برهان فضلاً عن برهان واحد، وذلك أنهم لم يتركوا اتباع الحق لدليل عندهم، أو لشبهة طرأت عليهم، حتى يوازنوا بين ما عندهم، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقلعوا عن غوايتهم عند وضوح الحق، بل كان تركهم للحق تمرداً، وعناداً مع علمهم بأنهم ليسوا على شيء، ومن كان هكذا، فهو لا ينتفع بالبرهان أبداً.

التحذير من الميل في اهوية المخالفين

قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ هذا الإخبار ممكن أن يكون بمعنى النهي من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: أي: لا تتبع يا محمد قبلتهم، ويمكن أن يكون على ظاهره، دفعاً لأطماع أهل الكتاب، وقطعاً لما يرجونه من رجوعه صلى الله عليه وسلم إلى القبلة التي كان عليها.

النهي عن المجادلة بالباطل

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦].

في هذه الآية دليل على منع الجدال بالباطل بل ورد الترغيب في ترك الجدال من المحق كما في حديث من ترك المراء ولو محقا فانا ضمينه على الله ببيت في ربض الجنة وقد ورد تسويغ الجدال بالتي هي أحسن بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن فيمبغي أن يقصر

جوازه على المواطن التي تكون المصلحة في فعله أكثر من المفسدة أو على المواطن التي المجادلة فيها بالمحاسنة لا المخاشنة.

التحذير من عمل السوء

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قيل المراد بالسوء: الشرك، وظاهر الآية أعمّ من ذلك، فكلّ من عمل سوءاً: أي سوء كان فهو مجزي به من غيره فرق بين المسلم والكافر. وفي هذه الجملة ما ترجف له القلوب من الوعيد الشديد، وقد كان لها في صدور المسلمين عند نزولها موقع عظيم.

التحذير من مجالسة أهل البدع

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أو لكل من يصلح له. وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة، الذين يحرّفون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردّون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإن إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقلّ الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير. وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزّهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر.

وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها، علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرّمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدّة عمره ويلقى الله به معتقداً أنه من الحق، وهو من أبطل الباطل وأنكر المنكر.

وجوب العدل في جميع الاقوال

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا أَيْ: إِذَا قُلْتُمْ بِقَوْلٍ فِي خير أَوْ شَهَادَةٍ أَوْ جَرْحٍ أَوْ تَعْدِيلٍ فَاعْدِلُوا فِيهِ وَتَحَرَّوُا الصَّوَابَ، وَلَا تَتَعَصَّبُوا فِي ذَلِكَ لِقَرِيبٍ وَلَا عَلَى بَعِيدٍ، وَلَا تَمِيلُوا إِلَى صَدِيقٍ وَلَا عَلَى عَدُوٍّ، بَلْ سَوُّوا بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَدْلِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

ذم التقليد والتحذير بالافتاء عن الله بالتحليل والتحريم مالم يقله

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

أشار سبحانه بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، وتقرير ذلك ما حاصله أنكم تحكمون بتحليل البعض، وتحريم البعض، فإن كان بمجرد التشهي والهوى فهو مهجور باتفاق العقلاء، مسلمهم وكافرهم، وإن كان لاعتقادكم أنه حكم الله فيكم وفيما رزقكم، فلا تعرفون ذلك إلا بطريق موصلة إلى الله، ولا طريق يتبين بها الحلال من الحرام إلا من جهة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده.

وفي هذه الآية الشريفة ما يصكّ مسامع المتصدرين للإفتاء لعباد الله في شريعته، بالتحليل والتحريم والجواز وعدمه، مع كونهم من المقلدين الذين لا يعقلون حجج الله، ولا يفهمونها ولا يدرون ما هي. ومبلغهم من العلم الحكاية لقول قائل من هذه الأمة قد قلدوه في دينهم، وجعلوه شارعاً مستقلاً. ما عمل به من الكتاب والسنة، فهو المعمول به عندهم. وما لم يبلغه أو بلغه ولم يفهمه حق فهمه، أو فهمه وأخطأ الصواب في اجتهاده وترجيحه، فهو في حكم المنسوخ عندهم المرفوع حكمه عن العباد، مع كون من قلدوه متعبّداً بهذه الشريعة، كما هم متعبدون بها ومحكوماً عليه بأحكامها، كما هو محكوم عليهم بها، وقد اجتهد رأيه وأدّى ما عليه، وفاز بأجرين مع الإصابة وأجر مع الخطأ، إنما الشأن في جعلهم لرأيه الذي أخطأ فيه شريعة مستقلة، ودليلاً معمولاً به.

وقد أخطئوا في هذا خطأ بيناً. واغلطوا غلطاً فاحشاً. فإن الترخيص للمجتهد في اجتهاد رأيه يخصه وحده، ولا قائل من أهل الإسلام المعتمد بأقوالهم إنه يجوز لغيره أن يعمل به تقليداً له واقتداء به، وما جاء به المقلدة في تقوّم هذا الباطل، فهو من الجهل العاطل، اللهمّ كما رزقتنا من العلم ما نميز به بين الحق والباطل، فارزقنا من الإنصاف ما نظفر عنده بما هو الحق عندك يا واهب الخير.

النهي عن ان يقول الانسان مالم يعمل

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الاسراء: ٣٦].

وَمَعْنَى الْآيَةِ: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ مَا لَا يَعْلَمُ أَوْ يَعْمَلُ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ، وَقَدْ جَعَلَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ خَاصَّةً بِأُمُورٍ فَقِيلَ: لَا تَدُمَّ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وَقِيلَ: هِيَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، وَقِيلَ: هِيَ فِي القذف. وقال القتبي: مَعْنَى الْآيَةِ: لَا تَتَّبِعِ الْحَدْسَ وَالظُّنُونَ، وَهَذَا صَوَابٌ، فَإِنَّ مَا عَدَا ذَلِكَ هُوَ الْعِلْمُ وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ هُنَا هُوَ الِاعْتِقَادُ الرَّاجِحُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ مُسْتَنَدٍ قَطْعِيًّا كَانَ أَوْ ظَنِّيًّا، قَالَ أَبُو السُّعُودِ فِي تَفْسِيرِهِ: وَاسْتِعْمَالُهُ بِهَذَا الْمَعْنَى مِمَّا لَا يُنْكَرُ شُيُوعُهُ. وَأَقُولُ:

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ دَلَّتْ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الْعَمَلِ بِمَا لَيْسَ بِعِلْمٍ، وَلَكِنَّهَا عَامَّةٌ مُخَصَّصَةٌ بِالْأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ بِجَوَازِ الْعَمَلِ بِالظَّنِّ.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.... وبعد:

فإن من أهم النتائج لهذه الدراسة الآتي:

- خطورة ظاهرة التعصب والتقليد على الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعات.
- التأثير السلبي على الشخصية الإسلامية من ظاهرة التعصب والتقليد ولاسيما بين فئات الشباب.
- تنوع وسائل وأساليب الامام الشوكاني في التحذير من التعصب والتقليد من خلال تفسيره فتح القدير يدل على تبحره وتمكنه وتحليه بسمة الداعية البصير.
- إن معالجة ظاهرة ما واعطاء الحلول المناسبة والبدائل الملائمة تعد من أهم دواعي الاستجابة لدى المخاطبين، وهذا ما لاحظه الباحث للإمام الشوكاني من هذه الدراسة.
- من أهم طرق معالجه التعصب والتقليد التي تناولتها الدراسة (الرجوع الى المنهج الصحيح للهداية والتربية، السلام الداخلي والاجتماعي، والتوعية لإدراك عواقب التعصب والتقليد، الاستمتاع بعلاقات اجتماعية سليمة).
- أهمية الجوانب التطبيقية المساندة للجوانب النظرية وصولاً لدراسات أعمق، كما جاء في دراسة الباحث حيث استخدم الجانبين.
- تأثر الداعية والمفسر بواقعه وزمنه حتى ينعكس ذلك على مؤلفاته ودعوته، كما كان من الامام الشوكاني وظاهرة التعصب والتقليد التي عانى منها وأثرت عليه، كما تأكد لنا من خلال هذه الدراسة.

وختاماً إن كان هناك من توصيات تعزز من هذه الدراسة وتشد من أزرها:

- تحتم على وسائل الاعلام القيام بدورها في الحد من هذه الظاهرة المؤثرة على الجميع أفراداً وجماعات.
- بث ثقافة الحوار وقبول الآخر تحت مظلة أصول الشريعة وثوابتها.
- أهمية الدراسات التفسيرية، وتوجهها لمعالجة أهم قضايا المجتمعات لنهوض الأمة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وله الحمد والمنة سبحانه، ويبقى هذا العمل من جهد البشر المقل، فأسأل الله رحمته ومغفرته، فهو سبحانه خير مسؤول وعليه التكلان.

قائمة المراجع:

الآمدي، علي بن محمد (١٤٠٢هـ). **الأحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي**. ط٢، بيروت.

الأزهري، ابو منصور محمد ابن أحمد، **تهذيب اللغة**، (نسخة الكترونية).

إلهي، فضل (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). **من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة**. ط٢، مؤسسة الجريسي: الرياض.

بكار، عبد الكريم (٢٠٠٩م). **هي هكذا كيف نفهم الأشياء منة حولنا**. ط١، دار السلام: القاهرة.

الجديع، عبد الله بن يوسف (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م). **المقدمات الاساسية في علوم القرآن**. ط٢، مؤسسة الريان: بيروت.
الجرمي، إبراهيم محمد (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م). **معجم علوم القرآن**. ط١، دار القلم: دمشق.
الجسماني، عبد العلي (١٤١٩هـ-١٩٩٩م). **النفس في المنهج القرآني**. ط١، الدار العربية للعلوم: بيروت.
الذهبي، د. محمد حسين، **التفسير والمفسرون: ت: أحمد الزعبي**. دار الأرقم: بيروت، لبنان.
الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، دار المنار.
الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (١٤٢٢هـ). **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**. ط٦، مكتبة التوبة: الرياض.
الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م). **البرهان في علوم القرآن**: ط١.
الزركلي، خير الدين (٢٠٠٣م)، **الأعلام**. ط١٥، دار العلم للملايين: بيروت.
سيد قطب، (١٤٠٧هـ). **في ضلال القرآن**. ط٣، دار الشروق: القاهرة.
السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة الثقافية: بيروت.
الشرجبي، عبد الغني قاسم غالب، "**الإمام الشوكاني، حياته وفكره**. (نسخة الكترونية).
الشنقيطي، محمد الأمين (١٤٠٨هـ)، **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن**، ط١، مكتبة ابن تيمية: القاهرة.
الشوكاني، محمد بن علي، **الدراري المضية شرح الدرر البهية**، ت: محمد صبحي بن حسن حلاق. ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
للشوكاني، محمد بن علي (١٤٠٨- ١٩٨٨). **التحف في مذاهب السلف**، تحقيق: طارق السعود. ط٢، دار الهجرة: بيروت.
الشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**.
الصياح، علي بن عبد الله (١٤٧٢هـ-٢٠٠٦م). **الداعية البصير في ضوء الكتاب والسنة**. ط٢، مدار الوطن: الرياض.
عبد الفتاح، إبراهيم أحمد (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م). **القاموس القويم للقرآن الكريم**. ط١، دار الكلمة: المنصورية.
الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن**. ط١، دار الوفاء: المنصورة.
الغصنبان، منير محمد (١٤٠٢هـ -١٩٨٢م). **من معين التربية الإسلامية**. ط٢، مكتبة المنار: الأردن.
الغماري، محمد حسن بن أحمد "**الإمام الشوكاني مفسرا**". (نسخة الكترونية).
الفيروز آبادي (١٤١٢هـ-١٩٩١م). **القاموس المحيط**. ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
القرضاوي، يوسف (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م). **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشدة**. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت.

القرطبي، محمد ابن أحمد الانصاري (١٤١٤هـ). **الجامع لأحكام القرآن، ت: محمد إبراهيم الحفناوي**. دار الحديث، القاهرة.
ابن كثير، الحافظ الدمشقي (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م). **تفسير القرآن العظيم**. دار الفكر: بيوت.
ابن منظور(١٤١٣هـ-١٩٩٣م). **لسان العرب**: ط٣، دار إحياء التراث: بيروت.
المودودي، ابو الاعلى المودودي (٤٠٧هـ-١٩٨٧م). **كيف نفهم القرآن ترجمة: خليل أحمد الحامدي**. ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع: جدة.
النغيشمي، عبد العزيز بن محمد (١٤١٥هـ). **علم النفس الدعوي**. ط١، دار السلام: الرياض.
الهلالي، محمد تقي الدين (جمادي الأولى، ١٤٠٤). مباحث في القرآن الكريم، **مجلة البحوث الإسلامية**، الرياض، العدد(٩).